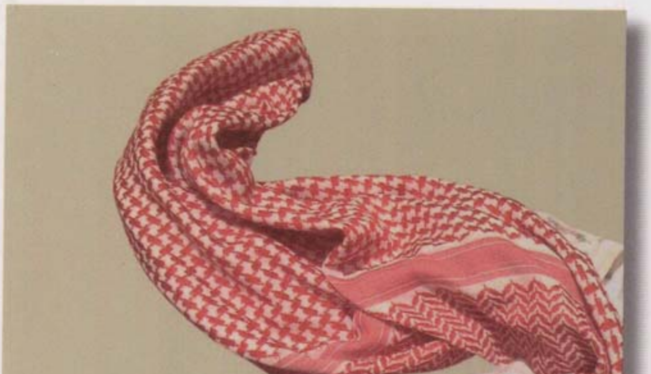
محمد الرطيان

ما تبقى من أوراق محمد الوطبان



رواية

طوى
للنشر والإعلام

محمد الرطيان

ما تبقى من أوراق محمد الوطبان

طوى للنشر والاعلام

Book: MA Tabaqa Men Aoraq Mohmmed Alwatban

الكتاب: ماتبقى من أوراق محمد الوطبان

Author: Mohammed Al Rutayan

المؤلف : محمد الرطيان

Cover plate : Hany Aldhahery

لوحة الغلاف : هاني الظاهري

First Edition: March 2009

Second Edition : April 2009

الطبعة الأولى مارس ٢٠٠٩

الطبعة الثانية أبريل ٢٠٠٩

طوى للثقافة والنشر والإعلام ـ لندن

TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED

19 TANFIELD AVENUE, LONDON, NW2, UNITED KINGDOM

Email: tuwa@london.com

Tel : 00966505481425 - 009662108111

التوزيع : منشورات الجمل

تلفون وفاكس: ٦٦٨١١٨ ١ ٠٠٩٦١،

ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

E-Mail: KAlmaaly@aol.com

بعض الأشياء إذا اكتملت . .

نقصت !

اعتاد الرواة على كتابة مثل هذه الكلمات :
هذه الرواية عمل من صنع الخيال، وأي تشابه بين أحداثها
أو أسماء الشخصيات الواردة فيها مع أحداث وشخصيات واقعية
هو مجرد مصادفة.

كم هي ساذجة وكاذبة هذه الكلمات!

إلى :

«تاء» . . امرأة لا تشبه بقية النساء

السادة الكرام / طوى للثقافة والنشر والإعلام

تحية طيبة .. وبعد:

سبق لي قبل فترة الاتصال بأحد موظفي الدار - اسمه عصام - وأخبرته عن هذه الأوراق ومحتواها ، واتفقت معه على أن أرسلها لكم، مضافاً إليها بعض ما كتبته بين ثنايا هذه الأوراق، ظناً مني أن هناك ما يجب أن أقوله عن هذه الحكاية...

هل قلت حكاية؟

أنا - بصراحة - لا أعرف هل هي مذكرات، أو حكاية أو رواية، أم سيرة ذاتية؟.. لا يعنيني الآن إلى أي شكل من أشكال الكتابة تنتمي هذه الأوراق.. الذي يعنيني أن ترى هذه الأوراق النور.. لأنني أظن أن هذه هي رغبة محمد الوطبان، وأن هذا هوالسبب الذي جعله يأتمنني على أوراقه قبل أن يغيب. وأنا مستعدة لدفع ما تطلبونه مقابل الاهتمام بها ونشرها كما يليق.

وأعترف لكم أنني لا أجيد الكتابة ، حتى وإن كان هذا المكتوب «رسالة» عادية (يخيّل لي الآن أن أحدكم سيقول ساخرا: لستِ بحاجة لهذا الإعتراف .. فما نقرأه الآن يكفيك هذا العناء) لهذا لكم الحق كاملاً بإعادة صياغة ما أكتبه، على أن لا يمس المضمون. أما أوراق محمد الوطبان فأرجو أن تظل كما هي، دون

تعديل أو تبديل.. حتى الأوراق غير المكتملة، تنشر بشكلها غير مكتملة!

وأكرر لكم ما قلته للأستاذ عصام سابقاً وهو أن تظل شخصيتي بعيدة عن وسائل الإعلام، وأن يستمر التواصل معي عبر اللبريد الإلكتروني.

هذه هي أوراق محمد الوطبان
وإن شئتم: هي أوراق أبو معاذ الطائي
وإن شاءت أيامي الحلوة: هي أوراق فارس سعيد.
ولا تستغربوا كثيراً ، فالثلاثة هم نفس الشخص، ويخيّل لي أني عرفتهم جميعاً.. وأحببتهم جميعاً!

دمتم بخير

السيدة / تاء
t1987t@gmail.com
جدة - السعودية
٢٥ سبتمبر ٢٠٠٨ م

الورقة رقم «١»

ما الذي أحاول أن أقوله؟

أحياناً أشعر أنني أقول كلاماً غير مرتب، وأحياناً أقول كلاماً قد لا أفهمه.

هل يجب أن يكون لكل شيء معنى؟!

هل أحاول عبر هذه الأوراق، والتي لا أدري ما الذي سأقوله فيها لاحقاً، أن أعالج نفسي؟

هنالك من يرى أن الكتابة علاج، وهناك من يقول إنها المرض!

كأن هذه الأوراق عيادة طبيب نفساني، وعند الكتابة أستلقي على أريكته الأنيقة لأثرثر.

سيسألني عن علاقتي مع أمي، وعن أول علاقة جنسية مارستها في حياتي، ومع من مارستها؟.. يخيّل لي أن الأطباء النفسانيين مجموعة من المرضى، وأولهم السيّد «فرويد».

كأنني سمعت وقع أقدام في ممر الدور الذي أسكن فيه!

*** وقع أقدام في الممر؟!.. أهاه!**

والله لا يوجد من أصوات سوى تلك الأصوات التي تعبر في ممرات رأسك.

أنهض من مقعدي وأذهب إلى الباب لأنظر عبر العين السحرية:
«إنه أحد الجيران».

*** أي جار؟!.. لا يوجد في هذا الدور سواك، بل يخيّل لي أنك الساكن الوحيد في هذا المبنى بكافة أدواره الثلاثة. ألم تفكر ولو للحظة أن المبنى بأكمله قد يكون ملكاً لـ«الجهاز»؟!**

أردت أن أعود إلى مكاني لأكمل ما كتبته ولكنني لم أستطع..
أنظر إلى منفضة السجائر «واحدة.. اثنتان.. ثلاث... سبع سجائر في ساعة»!

أشعر بأمر مريب.. أنهض من مقعدي لأتفقد غرف شقتي الصغيرة بقلق.
أرفع طرف ستارة نافذة الصالة المطلة على الشارع:
«لا شيء».
ألمح وجهاً يفزعني.. إنه وجهي في المرآة المثبتة فوق المغسلة..

أنظر إلى وجهي في المرآة، وأسأله: من أنت؟
يقول لي: أنا.. أنت!
أرد بعصبية واضحة: ولكنك لا تشبهني؟
يقول لي بهدوء: اسأل نفسك من الذي تغيّر فينا؟.. ثم ستكتشف من الذي لم يعد شبيهاً بالآخر.
قلت له: أنت.. أينا؟!

قال لي: أنا.. جميعكم!

قلت له: لا تراوغ...

قاطعني بغضب: لا أراوغ!.. أنت الذي علمتني المراوغة. لم أكن سوى وجه محمد الوطبان، والآن لا أدري هل أنا وجه محمد الوطبان أم وجه فارس سعيد أم وجه أبو معاذ.. أم أنني وجه رابع تخفيه ولا أعرف اسمه!

وأضاف: ولكن.. قل لي أنت.. من أنت؟

قلت: أظنني.. أنت.

وانتهى الحوار بيننا، ونحن لم نعرف أينا الآخر؟

*** يا إلهي.. هذا جنون!.. أنت الآن تتحدث مع نفسك..**

ـ لن أرد عليك.. أنت لست موجوداً أصلاً..

*** أضحكتني!.. هل صدقت الكلام التافه الذي يقوله لك طبيبك؟.. لعبت برأسك أقراص الأدوية التي تتناولها وجعلتك تنكرني الآن!**

ـ أسـكـت.. أسـ.. كـ.. ت.. أخـرج مـن رأسـي أرجووك..

أعود إلى أوراقي، وأتذكر أول مرة سمعت فيها صوتي في جهاز التسجيل:

أنكرته!.. حدثتني نفسي: هذا صوت شخص آخر. صوتي ليس أجمل من هذا الصوت ولا أقبح، ولكنه ليس هذا الصوت الذي أسمعه الآن عبر جهاز التسجيل.

أين صوتي الحقيقي، ومن أين أتى هذا الصوت الذي لا يشبه صوتي؟!

لابد أنني كنت أراوغ المايكروفون الصغير في المسجل، وهذا ما فعلته مع المرآة قبل قليل. كنت أراوغها.. أظن أن لي الكثير من الوجوه والأصوات الاحتياطية المخبأة داخلي، وأدعوها للظهور عندما أشعر أن الأشياء تراقبني.

أعدت قراءة ما كتبته في ورقتي الأولى، وضحكت كثيراً.. ضحكت بصوت مرتفع، وذلك عندما وصلت إلى عبارة (حدثتني نفسي).. حدثتني نفسي؟..

إذا من «أنا»؟!.. وأينا «نفسي»؟.. ومن الذي يستدرج الآخر للحديث؟!

*** أرجو أن لا تظن أنني «نفسك»!**

نهضت من المقعد..

ذهبت إلى الثلاجة، وأخرجت أقراص الفاليوم، وألتهمت ثلاث حبّات.. لعلي أنام.

الورقة رقم «٢»

رفحه، أو: رفحا، أو: رفحاء: ويتحوّل القلب إلى سرب حمام.. يطوقه الهديل والحنين؛

وأي جملة تبدأ بهذه الـ«رفحاء» لا أدري إلى أين ستذهب بي.. فبإمكان رفحاء أن تأخذني إلى عوالم غريبة وعجيبة. تحوّلني إلى طفل يتيم مسكون بالحنين إلى أمه التي لم يرها، ويحاول أن يصنع لها صورة خرافية عبر أحاديث الآخرين عنها.

* **دخيلك.. جعلتني أشعر بالغثيان!..**

هي ليست سوى مدينة صغيرة تقع في أقاصي الشمال السعودي، تلك الجهة المنسية، فلا تجعلها بحديثك عنها تبدو وكأنها سان فرانسيسكو!

كل مدينة هي أنثى، لهذا أرى أن العواصم والمدن الكبرى لسن سوى: عاهرات.. والمدن الصغيرة: أمهات.

ورفحاء أحيانا أراها أمي، وأحيانا حبيبتي الاستثنائية.. وأحيانا (عندما أغضب منها) عجوزاً شمطاء تُمارس السحر والشعوذة، وتروّج الشائعات القذرة عن بعض البيوت البريئة.

رفحا (بالهمزة أو بدونها) لم تعــد قريـــــة. . ولكنها أيضا لم تصبح مدينة حتى الآن. هي شيء يقف بين الاثنين، ولـهذا أشعرأنها تشبهني كثيراً، لـم أعد ذلك الولد البدوي الذي يفاخر بحكايا أجداده ولم أستطع أن أصبح ابن المدينة. . بل إنني أخاف من أخلاق المدن وعلاقاتها المرتبكة والمربكة.

ليست رفحاء وحدها الضائعة بين زمنين وشكلين، بل إن أكثر المدن في بلادي تعيش هذا المأزق، هي لم تحافظ على تاريخها الحقيقي - هذا إن كان لها تاريخ - ولم تستطع أن تكتب أو تنجز كتابة التاريخ الجديد. كل تاريخ رفحاء مكتوب بالصحراء التي تحاصرها من الجهات الأربع، الأراضي التي لم يصلها العمران عامرة بالحكايات التي يرفضها التاريخ الرسمي. إلى الدرجة التي جعلتني أؤمن أن كل بناء جديد هو هدم لشيء جميل.

أشعر أحيانا أنني وهي من الكائنات المشوهة، أو مثل تلك المخلوقات التي تعيش فترة انتقال تاريخية طويلة (الفقمة: مثلاً) هذا الكائن الذي لا تعرف هل هو بري أو بحري، وهل حركة انتقاله تتجه به إلى البر أم أنه سيتحوّل بعد سنوات إلى كائن بحري؟. .

وأتذكر الآن كيف كان بعض بني عمومتي، عندما كان بيتنا في الرياض يعج بالمسافرين القادمين منها، يغضبون مني عندما اسألهم بمرح وأستفزاز «هاه. . كيف هي الاحوال في الفقمة»؟. . رغم أنهم يعلمون كم أحبها، وكم أدخل في حوارات تتحوّل إلى خناقات لكي أقنع الآخرين أن رفحاء أهم وأجمل ألف مرة من الرياض العاصمة!

من يغضب منهم كثيراً أواسيه بقولي: «الخليج العربي بأكلمه ليس سوى فقمة كبيرة»!

في هذه الـ«رفحاء» التي أحبها - بكافة أشكالها ووجوهها - ولدتُ.. أنا محمد بن سلطان بن محمد الوطبان الشمري.. ولو أردتُ لواصلتُ عدّ أسماء أجدادي إلى «آدم»!

الورقة رقم «٣»

البارحة، في المقهى الإيطالي، حدث معي أمر غريب ومفاجئ: اقتحمت امرأة فاتنة طاولتي، ورمت ورقة صغيرة على الطاولة، وقالت لي دون مقدمات:

«مبروك... لقد فزت بأكبر جائزة يانصيب في الكون»!

فاجأتني، وغادرت قبل أن أنتبه لما كتبت في ورقتها الفواحة بالعطر!

فاجأتني، ورحلتْ.. كان شعرها الفاحم يشير إلي مودعاً وهي تبتعد مع صديقتها..

فاجأتني، وألجمتْ لساني!

خرجتْ، تتبعها ضحكات رفيقتها، وتركتني بذهولي وارتباكي، وبعض فرح طفولي يجتاح القلب..

نظرتُ إلى الورقة الصغيرة وقرأتُ:

«أرجوك لا تستمع لـ«فيروز» فهي سبب رئيسي لأمراض القلب والشرايين».

ثم وضعتْ رقم هاتفها!!

*** مثل هذا الأمر المدهش - الخارج عن العادة السعودية - لا يمكن أن يحدث سوى في مدينة «جدة». ولكن.. لا تنكر أنك**

كنت تراقبها من وراء زجاج نظارتك السوداء، وكنت تتمنى في قرارة نفسك لو امتلكتَ الجرأة للحديث معها ومغازلتها.. ولكنك لم تكن شجاعاً بما فيه الكفاية.. هي كانت أشجع منك!

رغم كل الحذر الذي اعتدت عليه في سنيني الأخيرة، ورغم كل ما يستدعيه مثل هذا الموقف من حذر مبالغ إلا أني صرتُ أفكر في الاتصال بها.

منذ البارحة، وأنا أقلّب هذه الورقة الصغيرة..

كأنني أشم رائحة عطر ساحر وغريب..

كأنني ألمس أطراف أصابعها..

كأنني أقرأ في خطها الصغير الأنيق أشياء رائعة لم تكتب.. قد تـُكتب!

كأنني.....

ولأول مرة، أفكر بتجاوز تعليمات «الجهاز» المشددة!

سأشتري جهازاً ثالثاً وشريحةً جديدة للاتصال بهذه المجنونة الرائعة.

يالله.. كم هي بائسة هذه الحياة لو لم يكن فيها نساء.

*** قلها ببساطة: هي بائسة بدون جنس.. حاول أن تتخلص من «الرقيب»!**

الورقة رقم «٤»

بالصدفة، كانت إحدى القوافل تمر من هنا، من هذا المكان.

وبالصدفة، كانت معهم امرأة تحتضر.. وماتت في هذا المكان.

وبالصدفة، تم اختيار هذا التل الصغير، لتدفن بجانبه، ويصبح علامة لقبرها.

كان اسم المرأة «رفحا».

لاحقاً، صار اسم التل الصغير «رفحا».

مع مرور الوقت، صار كل ما حول التل «رفحا».

*** بالصدفة!.. بالصدفة!.. بالصدفة!**

تريد وبلغة شاعرية مثيرة، ورغم أنف التاريخ، أن تصنع تاريخاً لجغرافيا مهملة.

ـ رأيك لا يهمني.. هل أستطيع أن أكمل؟

*** تفضّل.**

في وقت ما، صار هذا المكان الذي لم يكن سوى نقطة صغيرة في صحراء شاسعة ولاسعة، مكاناً مفضلاً لبعض القبائل، تمره في مصيفها ومشتاها، وفي رحلات بحثها عن الماء والكلأ.

هنا تقاتل البدو على بئر ماء.

ومن هنا مرّت قوافل تجار «العقيلات» قادمة من قلب «نجد» في طريقها إلى «بغداد» و «الشام».

ومن هنا مرّ الفرسان، والشعراء، والغزاة.

ومن هنا مرّ «الحسين» و «المتنبي» عليهما السلام!!

*** ههههاي.. أضحكتني!..**

«عليهما السلام» إذاً؟

الآن بدأت تفهم اللعبة. أولاد وبنات الرواية الجديدة في السعودية ليسوا أفضل منك. هكذا تستطيع أن تستفز تياراً عريضاً ليبدأ بمهاجمتك، فأنت تعلم أن الحسين محل اتفاق ومحبة عند السنة والشيعة. وكما تعرف فالهجوم على أي عمل كتابي هو أفضل الوسائل للترويج له..

برافو.. برافووو..

وهنا، وعلى أطراف «رفحاء» ترى «بركة زبيدة» هذا المشروع الذي أنشأته زوجة الخليفة العباسي «هارون الرشيد» لسقاية الحجاج الذاهبين إلى مكة والقادمين منها.

ومن هنا أيضا، مرّت هذه الأفعى المعدنية العملاقة، ذيلها في الخليج العربي ورأسها في البحر المتوسط!

في منتصف القرن الماضي، وتحديداً في عام ١٩٤٨م، وبأمر من الملك عبدالعزيز آل سعود، قررت شركة «أرامكو» أن تمد أطول خط أنابيب «التابلاين» لضخ النفط ونقله من مصادره في المنطقة

الشرقية على الخليج العربي، من «بقيق» تحديداً حتى «حيفا» الفلسطينية على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وأتت الاحداث السياسية لتغيّر مساره إلى سواحل «صيدا» اللبنانية، لتنقله الناقلات العملاقة من هناك إلى مستهلكيه في العالم الغربي.

بالصدفة، يمر هذا الخط العملاق بـ«رفحاء».

ويقرر المسؤولين في شركة «أرامكو» وضع محطات ضخ وصيانة لخط الأنابيب كل ثلاثمائة كيلومتر.. وبالصدفة تكون المحطة اللاحقة في «رفحاء». وليست وحدها «رفحاء» فهناك في الجانب السعودي خمس مضخات:

النعيرية ـ القيصومة ـ رفحاء ـ عرعر (وكانت تسمى: محافظة خط الأنابيب) ـ وآخر محطة: طريف. ولابد لهذه المحطات من مهندسين وعمال، وأمن لحمايتهم وحماية المحطة. ومستشفى صغير لعلاجهم، ومعدات حديثة لاستخراج الماء الصالح للشرب من باطن الأرض.

وهكذا أتت الوجوه الغريبة من كافة المناطق والجهات، يحملون أسماء عائلات وقبائل لا يعرفها أحد. هناك من أتوا كعمال في الشركة، وهناك من أتى مع «الإمارة»، وهناك من استوطن في هذا المكان الذي صار آمناً، وهناك العائلات التي أتت من «القصيم» وما جاورها إلى هذه البلدة - التي بدأت تنمو - بحثاً عن الرزق والتجارة.

تغيّر المشهد كثيراً: صارت هنالك بعض بيوت الطين بجانب

الكثير من الخيام وبيوت الشعر. وفي وسط البلدة أنشئ أول مسجد، وحول هذا المسجد تشكلت نواة سوق «رفحاء» من بعض الدكاكين الصغيرة. أما في الجهة اليسرى فكانت هناك «الوقفة» وهي سوق الغنم والإبل وصار البدو يأتون إليها من كافة الجهات المحيطة بـ«رفحاء» لشراء وبيع المواشي.. ويحدث أن يباع فيها ما هو أبعد من هذا!

أما «أرامكو» فبناؤها مختلف، وحديث، وتحيط به الأشجار وسياجٌ حديدي يمنع غير العاملين فيها من الدخول إليه. ينظر البدو إلى هذا المبنى بذهول وإعجاب.. وهم لا يعرفون منه شيئاً باستثناء المستشفى!.

صار في «رفحاء» مركز إمارة وشرطة وسجن.. ولاحقاً - بعد سنوات - مدرسة ابتدائية يديرها شاب حجازي اسمه «أنور عبد القادر فلمبان»!

ولـ«رفحاء» حدّين.. حد قديم رُسم قبلها، ويجعلها عراقية. وحد رُسم بعدها، ويجعلها سعودية. ولا تدري هل كان هذا صدفة أيضاً، أم أنه مهارة السياسي، أم خطأ في رسومات الجغرافيين.

بهذا الشكل نشأت «رفحاء» الحديثة.

كأنها صدفة تاريخية جعلت الزمن ينتبه إليها، ويقف عندها قليلاً..

أو كأن «رفحاء» ليست سوى خطأ مطبعي في وثيقة سياسية!

الورقة رقم «٥»

البارحة. . كانت الليلة الثالثة التي يزورني فيها شبح «جونسون».

أحياناً أراه مبقور البطن تتدلى أمعاؤه، وأحياناً يتحدث إليّ ورأسه يتدلى على صدره لا يمنعه من السقوط سوى جلدة صغيرة.

في زياراته السابقة، كان يقول لي جملة واحدة، ويرددها بعتب وغضب وحزن: «يا ابن الوطبان أين ستهرب من الرب عندما يسألك عني؟». . «يا ابن الوطبان أين ستهرب من الرب عندما يسألك عني؟». . وكنت أصحو من النوم مفزوعاً، مختنقاً، كأن كل الاكسجين تم سحبه من غرفتي.

البارحة. . حلمت بـ«جونسون» بشكل مختلف. كان أنيقاً وينظر لي ويبتسم بود.

سألته: أين أنت الآن مستر «جونسون»؟

نظر إلي نظرة محايدة، وقال: وهل تظن أن الجنة لك وحدك يا ابن الوطبان؟!. . لماذا سمحت لهم بقتلي؟. . ألا تعرف أن لي أسرة تنتظرني؟. .

*** لحظة. . لحظة. . يا ساتر. . هذا كُفر!. .**

هل تريد أن تـلمح لي أن «جونسونك» هذا سيكون من أهل الجنة؟!!

خاف ربك يا رجل!

وأضاف بنبرة مختلفة: أنا إنسان بسيط مثلك، لا شأن لي بالحكومات وقراراتها. لي أهل وجيران طيبون وأصدقاء ينتظرون عودتي.. لماذا سمحت لهم أن يجعلوا عودتي إليهم جثة.. وبلا رأس أيضاً!.. لماذا سمحت لهم بقتلي يا ابن الوطبان؟.. لماذا سمحت لهم بقتلي يا ابن الوطبان؟.. لماذا سمحت...

صحوت من النوم - كالعادة - مفزوعاً، يبلل العرق وجهي، وحلقي جاف، وأشعر بضيق في التنفس، كأن مرض الربو الذي ودعته في العاشرة من عمري قد عاد إلي.

نهضت بسرعة من سريري. شربت نصف قنينة مياه معدنية. بعدها قمت بغسل وجهي بماء بارد. عدت إلى الغرفة لأتحسس المسدس تحت المخدة.

صرت أخاف من النوم لأسباب كثيرة، أحدها زيارات «جونسون» التي صارت تتكرر مؤخراً. نظرت إلى الساعة، كانت الرابعة والربع فجراً. دخلتُ إلى المطبخ، وأشعلت النار تحت الابريق.. كنت بحاجة لكأس من الشاي. عدت إلى الغرفة.. تفقدت أجهزة الموبايل. الأول لا مكالمات ولا رسائل، والثاني كذلك. الجهاز الثالث، الذي كان مخصصاً فقط لاستقبال اتصالات «تاء»، وجدت فيه رسالة هاتفية واحدة فقط، ومن كلمة واحدة فقط: «أحبك».. مسحتها!..

علمني العمل في «الجهاز» مسح الأشياء أولاً بأول.

أخذت علبة السجائر وعدت إلى المطبخ الصغير، كان الماء يغلي في الابريق. صنعت كوباً من الشاي بالنعناع وأخذته مع السجائر إلى الصالة.. وجلست.

الريبة والتوجس مجدداً.. لا أعرف أسبابهما. عدت إلى الغرفة وسحبت المسدس من تحت المخدة. دخلتُ إلى الصالة، وقبل أن أجلس نظرت من وراء ستارة النافذة التي تطل على الشارع. كان الشارع والحي كله في سبات عميق. ذهبت إلى باب الشقة، ونظرت من خلال العين السحرية إلى الممر.. كان خالياً. عدت إلى الكرسي، ورميت المسدس على الطاولة الصغيرة بجانب كوب الشاي الذي بدأت تفوح منه رائحة النعناع.. «الله.. كم هي مريحة هذه الرائحة» ومع الرشفة الأولى.. أشعلت السيجارة الاولى.. وبدأت أسترجع تفاصيل عملية اغتيال «بول مارشال جونسون»..

*** انتبه!.. أنت الآن - وبطريقة فنيّة مراوغة - تحاول أن تروّج للرواية الرسميّة. لا تنسى أن «جونسونك» هذا كان موظفاً في القاعدة العسكرية ومهندس رادارات أباتشي أيضاً..**

ـ يا الله!.. هنا تنبهني.. وهناك كدت ان تـكفرني.. بل كفـرّتني..

ألا تنام أنت؟!

*** كيف أنام وهلوساتك الغبية وكوابيسك السخيفة تطاردني، ولا تجعلني أحظى بساعات قليلة من النوم المتواصل المريح؟.. خذ لك قرصين «فاليوم»، وقم لفراشك لعلنا ننام.**

ملاحظة من السيدة «تـــاء»

لست خبيرة في الخطوط، ولكن يخيّل إلي أن هناك خطاً آخر غير خط «محمد الوطبان» الذي أعرفه جيداً. . لا أدري! . . هل كان «محمد الوطبان» يتحدث بصوتين ويُخاطب «نفسه» أحياناً بصوت مسموع؟ . . أم أن هناك شخصاً حقيقياً آخر. . أم ماذا؟ . . لا أعرف!

لذا، أقترح عليكم كدار نشر، عند طباعة الكتاب، وضع كل الحوارات التي تبدأ بهذه العلامة (*) بلون آخر. . أو بخط مختلف عن بقية الخطوط.

هل كان مع محمد شخص آخر؟! . . يا إلهي!

من هو الرجل الذي أحببته بينهما؟ . . من الذي كان يعانقني؟ . . من الذي كان يأخذني إلى سريره؟ . . من الذي منحته جسدي بكل ما فيه من خيرات وآهات؟ . . من الذي أبكيه الآن، وأبحث عنه بين آلاف الوجوه العابرة؟! . . من؟ . . من؟ . . .

قرأت هذه الأوراق عدة مرات. . بل عشرات المرات، ولم أحصل على إجابة مقنعة. . ولكن. . كم أصابني الفزع عندما تخيّلت بعض الأجابات!

الورقة رقم «٦»

والدي «سلطان بن محمد الوطبان» لا يختلف كثيراً عن الأغلبية العظمى من «شيبان» الشمال. يرى أن أهم مهنة من الممكن أن يحصل عليها أي رجل هي «ضابط» تتلألأ النجوم على كتفيه. بالنسبة إليه هي أهم من الطبيب والمهندس وسائر المهن الأخرى، وبدلة الضابط هي اللباس الأكثر أناقة في العالم، وهي أهم وأجمل من بالطو الطبيب. بل إن بعض «الشيبان» يتمادون بالسخرية من الطبيب بوصفهم له بأنه لا يخجل من «تفتيش أعضاء النساء»!

لهذا كنت مجبراً - لأنني الولد الوحيد لديه بعد ثلاث بنات - على أن أحقق أمنيته، فالتحقتُ بكلية الملك فهد الأمنية.

أنجبت له والدتي الكثير من البنات، منهن من سقطت وهي لم تكمل شهرها التاسع، ومنهن من ماتت صغيرة وذلك لأسباب مختلفة، ولم يتبقَ له سوى أخواتي: نوره ومنيرة ومنار. نوره سماها على أشهر عمّاته أخت جده الأكبر وعندما تأتي مواقف النخوة فهو ينتخي بها «أخو نوره». أما منيرة فلا أظن أنها حصلت على أسمها هذا إلا لأنه قريب من أسم نوره. أما منار فرغم اقترابه من اسم نورة ومنيرة إلا أنه يشي بأن ذوق والدي تطوّر مع الزمن وصارت تستهويه

الأسماء الجديدة للفتيات. طبعاً لم يكن لوالدتي أي رأي في اختيار الأسماء!

مضت سنتان بعد ولادة منار ولم تحمل أمي، وتنتشر الإشاعة بين نساء القبيلة بأن والدتي توقفت عن الحمل!.. والنساء يخبرن أزواجهن.. وعادت الضغوط على والدي من الرجال وأيضاً من النساء الطاعنات بالسن لكي يتزوج بامرأة تنجب له ولداً.. «لا تنقطع يا سلطان.. جدك وطبان أنجب الكثير من الأبناء ولم يبق منهم إلا أبوك محمد، ومحمد رحمه الله لم ينجب سواك ومات شاباً.. ولم يبق من بيت الوطبان سواك.. تزوّج.. نريد ولداً يحمل هذا الاسم الطيّب..»..

الآن أفكر بالأمر وأراه غريباً: ما الذي منع والدي طوال السنوات الماضية من الزواج من ثانية وثالثة أيضاً، وهو في مجتمع لا يرى في هذا الأمر أي مشكلة.. بل هم معتادون على تعداد الزوجات؟!

أتذكر ما قاله لي خالي نايف قبل سنوات عن الضغوط التي مورست على والدي ليتزوج، قال: إن آخر من أتاه ليقنعه بالزواج كان أمك!.. تخيّل.. لم تكتفِ باقناعه لكي يأتي بضرة عليها، بل قالت له: «وأنا التي سأخطبها لك».

وقالت لأبيك: «إن لم يكن في ذهنك امرأة معينة، فأنا أعرف واحدة جميلة وعاقلة وتجمع بيتنا ولا تفرقه.. ومن بيت طيّب».

سألها والدك: «من؟»

فأجابت: «صلفه السعدون».

ودون تردد قال: «على بركة الله».

يقول خالي نايف:

في ذلك الوقت كنّا في بداية الطفرة الاقتصادية، والبنك العقاري بدأ بتوزيع المنح، وبدأ وجه رفحاء يتغير، ورغم هذا كانت الدنيا براح وفيها سعة، ليست مثل الآن خانقة.. كنت ترى بيوت الشعر والخيام وفلل الاسمنت الجديدة وبعض «الصنادق» في حارة واحدة، وهناك على مد النظر - جهة السوق - ترى بعض بيوت الطين.

بنينا بيت شعر «مخومس» ليكون المقر الرئيسي لحفل زفاف والدك على صلفه، وكان منّا من يأتي بالقدور والأواني لكي تقوم النساء بطبخ العشاء والغداء، وهناك من يأتي بالسجاد من بيته لكي يُفرش للضيوف.. وطبعاً لم يكن الزواج مثل هذه الأيام ليلة واحدة فقط.. بل ثلاثة أيام بلياليهن والاحتفال مستمر، وكل مساء ترتفع أصواتنا بالعرضة والسامري والدحة.

كنا نقوم بتجهيز العشاء وتقديمه للحضور بعد غياب الشمس.. بعد أن ننتهي من أداء صلاة المغرب مباشرة. وبعد صلاة العشاء تبدأ «العرضة» ونبدأ نتمايل بحماسة مع الكلمات التي تعدد مآثرنا وشجاعة أجدادنا ضد خصومهم، وما أن تأتي الأبيات التي يُذكر فيها اسم قبيلتنا إلا ويخيّل لك أن كل واحد منّا قد تلبسته قبيلة من الجن.. كنا نرتفع عن الأرض مع الرقص.. وتتغيّر ملامح وجوهنا كأننا في معركة حقيقية ومع ارتفاع الحماسة تبدأ البنادق بالهدير.. لحظتها نشعر كأننا نشم رائحة التراب الذي يتطاير بفعل حوافر خيل أجدادنا في أثناء غزواتهم.

وقتها كنا بدأنا نعرف ما هو «النظام» وننصاع لبعض أوامره، لهذا لم نكن نتمادى كثيراً في اطلاق النار من بنادقنا، لأن شرطة الإمارة تقف لنا بالمرصاد، رغم معرفتنا ببعض أفرادها الذين يغضون الطرف

عن بعض ما نفعله من مخالفات. كما أننا في «العرضة» أصبحنا نتجاوز بعض الأبيات التي تمس بعض القبائل حولنا والذين كانوا في السابق خصوماً لقبيلتنا، وبعض بيوتهم كانت قريبة ويسمعون غناءنا، بل إن البعض الآخر متواجد بين الضيوف.

في هذا الوقت الذي كان فيه الرجال يغنون العرضة ويشاركهم قليلاً بعض كبار السن، كان الفتيان وبعض الشباب يخرجون خلسة إلى جهة النساء ليختلسوا النظر لبعض الفتيات وهن يرقصن. كانوا يقفون في إحدى الزوايا الخفية وهم متلثمين بأشمغتهم، وكل منهم ينتظر الوقت الذي ترقص فيه من يهواها من النساء. يحدث أن العاشق يختبيء بزاوية ومعه شقيق من يحب، وما أن تنزل إلى «الملعب» لترقص إلا ويسحب مسدسه الصغير ليحييها بطلقتين. لحظتها يتلقى سيل من اللعنات من شقيقها - ومن الآخرين أيضاً - لا لأنه أطلق الرصاص أمام الجميع تحية لأخته بل لأنه نبّه كبار السن إليهم، والذي سيأتي أحدهم بعد قليل ومعه عصاه ليطرد الجميع من المكان. كان بإمكان أي رجل كبير في السن أن يؤدب بعصاه من يشاء، ويضربه.. فلا يرد عليه المضروب أبداً، ولا يناقشه أهله: لماذا ضربته؟.. بل من الممكن أن يأتي والد المضروب ليكمل ضربه دون أن يسأله ما الذي فعله. لأن "فلان" بالتأكيد لم يضربك إلا لأنك أخطأت في شيء ما!

أما الفتى - شقيق الفتاة التي أُطلق الرصاص من أجلها - فلسان حاله يقول:

فليطلق الرصاص كما يشاء، فكما هي أختي، هي ابنة عمه أيضاً والجميع يعلم هذا والجميع يعلم أنه يريدها على سنة الله ورسوله، وهي تريده كذلك. والجميع يعلم أنهما لو كانا لوحدهما في قلب

الصحراء فلن يمس أحدهما الآخر، بل إنه سيحميها بروحه لو فكر أحدهم بمس شعرة من رأسها، ولديه استعداد أن يقف بوجه الموت نفسه لو فكر في الإقتراب منها.

كانت القلوب طيبة، والنوايا صافية.. وكل هذا الغضب - فقط - لأنه نبّه «الشيبان» عليهم.. ولكن.. ما هي إلا لحظات ويذهب الشايب إلى مجلس الرجال، ويعود الشبان لمشاهدة صبية جميلة ترقص وتنثر شعرها في الفضاء، ولطوله وسواده لا تعلم أين يبدأ الليل وأين ينتهي شعرها؟.. لحظتها.. كم من قلب يذوب، وكم من آهة ساخنة تطير في فضاء القلب.

ما أن ينتصف الليل إلا ويعود الشبان إلى جهة بيت الشعر الذي يضم الرجال، ليبدأ «السامري» بكل ما فيه من طرب وشجن:

هبّت هبوب الشمال وبردها شيني
ما تدفي النار لو حنا شعلناها
ما يدفي إلا حضن مريوشة العيني
وإذا عطشنا شربنا من شفاياها

يغنون، وكل منهم يتخيّل أن «مريوشة العين» هي تلك الفتاة التي رآها منذ قليل. ويرتفع الشجن مع:

وراك ما تذرفين الدمع يا عيني
على هنوفٍ جديد اللبس يزهاها
أضحك مع اللي ضحك والهم طاويني
طويت قراب العرب لقطروا ماها

وفي الجهة المقابلة، عند النساء، تبدأ العجائز بغناء ما يسمينه «قصيد الليل»:

غاب القمر وانقطع ضوه... قطّع قلوب العواشيقي

يقول خالي وتلمع في عينه نظرة حنين لزمن ذهب ولن يعود:

لا أتذكر أننا «لعبنا» ورقصنا وغنينا كما فعلنا ليلة زواج والدك من صلفة السعدون ولكن.. للأسف هذا الزواج لم يستمر طويلاً. أشهر قليلة و صلفة تذهب إلى بيت والدها زعلانة.. وتنجح أمك في استرضائها وإعادتها إلى والدك، وبعد عودتها بأشهر تهجر بيت والدك مرة أخرى وتذهب إلى بيت أهلها، وبعدها بأيام يُرسل والدها طلباً لوالدك بأن يتركها بمعروف، ودون أي تفكير يقول والدك للمرسال: سلّم على سعدون، وبلغه تقديري، وقل له أن صلفة طالق بالثلاث!

بعدها بأسابيع قليلة، وبعد خروج الرجال من مجلس والدك لصلاة الظهر، دخلت أمك عليه، وكانت من النادر أن تدخل مجلس الرجال.. نظرت إليه وهي تبتسم، وقالت: أبو نوره.. أنا حامل!

بعد حوالي السبعة أشهر، وتحديداً صباح الأربعاء، لا يوجد رجل أو امرأة في جماعتنا إلا وبكى فرحاً عندما أتاه هذا الخبر: سلطان الوطبان رُزق بولد فجر هذا اليوم.

*** تريد أن تقنعني بهذه القصائد والموسيقى التي تفوح من هذه الورقة، وبهذا المشهد الاحتفالي أن حدث ولادتك كان حدثاً مهماً؟!.. يا أخي أنت ماخذ مقلب كبير بنفسك!.. ألا تعلم أنه في اليوم الواحد في هذا العالم يُولد أكثر من (٣٢٠٠٠٠) طفل،**

وأن الغالبية العظمى منهم يولدون ويموتون دون أن يغيروا في هذا العالم أي شيء، وصدقني، أنت واحد من هذه الأغلبية. أنت «عدد» لم - ولن - ينتبه إليه أحد.

الورقة رقم «٧»

اليوم، ودون سابق إنذار رن هاتف الجوال الرسمي، وكان على الطرف الآخر النقيب «حسين الموسى» سكرتير «العقيد»، وأخبرني أن «العقيد» سيزورني في شقتي مساء هذا اليوم، وقال آمراً «لا تخرج من الشقة.. ولا تـُقفل هاتفك الجوال».

ما أزال أتذكر تفاصيل لقائي الأول مع «العقيد».. ملامحه لا تكشف لك عن عمره الحقيقي، حتى هذه اللحظة أكتفي بالتخمين.. عمره ما بين الاربعينيات والخمسينيات. متوسط الطول، أبيض الوجه، له فك يخيّل لك أنه تم تركيبه لاحقا على وجهه، صارم، له نظرة تشعر أنها تخترقك وأن بإمكانها معرفة ما تفكر فيه، نحيف، له صلعة عجيبة.. كأن الزمن عبث بشعر رأسه بطريقة شيطانية لكي يسخر منه الناس، ولكن.. من لديه الجرأة ليسخر من «العقيد»؟.. وهو أحد الرجال الأقوياء في الوزارة، وسأكتشف لاحقا بأنه يكاد يكون الأقوى لأنه سيّد «الجهاز» بلا منازع. أسنانه بيضاء وجميلة.. ولكن لا أذكر أن هذه الاسنان قد قدمت ولو ابتسامة واحدة تُشعرك أنها حقيقية ومريحة، فرغم بياضها الناصع إلا أنها لا تعطيك إلا ابتسامةً صفراء.

عندما أخبرني أحد الزملاء أنه من «الجنوب» تذكرت زميلي

الشهم والطيب والبسيط جداً «علي بن غرم الله الزهراني» كان من «الجنوب» أيضا. . قلت لنفسي: «من هذا الغبي الذي قال إن لأهل الجهة الواحدة نفس الملامح والطباع».

*** لستَ بحاجة لهذا التلميح عن «الجنوب» وأهله. .**

ـ أقسم بالله أنني لا ألمح لأي شيء. .

*** تعلم - في داخلك - أن هذه الملاحظة ستغضب البعض منك والدليل أنك أردت أن «ترقعها» بمديحك لزميلك الجنوبي «علي غرم الله الزهراني». . أنصحك بشطب الفقرة الماضية!**

في تمام العاشرة مساءً قـرُع باب شقتي. .

السيدة «تــاء» تتحدث:

أول مرة رأيت فيها فارس سعيد (أو: محمد الوطبان) كانت في المقهى الايطالي. لفت انتباهي، وانزعجت كثيراً لأنني لم ألفت انتباهه!

كان يجلس وحيداً في ركنٍ قصيٍ من المقهى، العجيب أنه كان «وحيداً» رغم أن المقهى لايسمح بدخول «الشباب»!.. قلت لنفسي: «هذا الشاب (دبّر) أموره مع إدارة المقهى.. أو لعل له وضعاً خاصاً ليتمكن من دخول المقهى.. لوحده»!

لفتت انتباهي وسامته الهادئة، وربما كان الذي لفت انتباهي هو تجاهله الغريب لي!

أقول الغريب لأنني اعتدت أن أي مكان أدخله أسبب له ربكة ما.. أراها في عيون الحضور، وكان هذا الأمر يرضي غروري، فأنا أعرف جيداً ما أمتلكه من أسلحة. أتسبب في كثير من الارتباك واللخبطة في المقاهي التي اعتدت الذهاب إليها - ومنها هذا المقهى - مع صديقتيّ المقربتين وحافظتي أسراري: حنان وميرفت... في الشقة التي تجمعني مع الشلة في سهرات نهاية الأسبوع... في الشاليه وفي أرجاء «درة العروس»... في الرحلات البحرية على ظهر اليخت، كنت دائماً أرى تلك الوجوه التي تتمنى لو أن تحصل

على جسدي ولو لليلة واحدة. . أرى الرغبة في هذه العيون. . أرى تلك الوحوش الصغيرة التي تفضح نفسها في نظراتهم الجائعة.

أعرف أن هذه «الشلة» والممتدة من جدة إلى الرياض وقلة قليلة منهم في الشرقية - وبكل ما تحتويه من علية القوم والسادة والأثرياء والتي تنتهي بأسماء عائلات مهمة. . وأنا منهم - أعرف أن الغالبية العظمى منهم تافهون وفارغون، وبيني وبين نفسي لا أحترمهم. . بل أحتقرهم. . ولكن هذا لا يمنعني من العيش في هذا الوسط والاستمتاع بلياليه الصاخبة، وحضور الحفلات لكي أرقص وأشرب وأغني. . وأحياناً أسحب أحدهم إلى إحدى الزوايا. . بل لديّ الجرأة لسحبه إلى غرفة النوم إذا وافق مزاجي. . ونادراً ما أجد من يوافق مزاجي!

أنا التي لا أؤمن بالخطوط الحمراء لديّ أربعة خطوط حمراء:

الخط الأحمر الأول: شخصيتي الحقيقية، فهم جميعاً لا يعرفون من أنا. . ابنة من؟. . زوجة من؟. . أين أسكن؟. . كلها مجهولة بالنسبة لهم. . فقط اسمي الأول. أنا مسئولة عن اسمي. . أنا فقط، ولا علاقة لاسم عائلتي أو اسم عائلة زوجي فيما أفعل وفيما أمارس من مغامرات. طبعاً باستثناء صديقتيّ حنان وميرفت، وكلتاهما تنتميان لأسرتين معروفتين، فهما تعرفان كل شيء عني، وأزورهما وتزوراني.

الخط الأحمر الثاني: موبايلي الرسمي لا يعرفه أي أحد. هناك هاتف نقّال للأسرة، وهناك هاتف آخر للأصدقاء والشلة، وكل منهما (أسرتي وأصدقائي) لا يعرف رقم الهاتف الآخر.

الخط الأحمر الثالث: لا للحب.. لن أحب.. ولن أتورط بعلاقة حقيقية. لأنني أرى أن الحب مجرد وسيلة لتضييع الوقت بشكل ممتع، والعلاقات العابرة تقوم بهذه المهمة بشكل أكثر متعة وأكثر لذة.. ودون أدنى التزام!

أعيد قراءة ما كتبته في الفقرة السابقة، وأتساءل:

هل هناك فرق بين الحب والجنس؟

ما فائدة أن تحب ولا تمنح جسدك لمن تحب؟

هل علاقة الحب بين رجل وامرأة إذا تطوّرت إلى علاقة جنسية لا تعود حباً؟!

هل ستختلف الإجابات باختلاف الوجوه والجهات؟..

لماذا يقولون عن الذين يمارسون الجنس إنهم «يمارسون الحب»؟!

بصراحة، لاأملك أي إجابة لأي من الأسئلة السابقة.. أو أنني أمتلك إجابات مرتبكة وغير ثابتة.. تتغيّر من حالة إلى حالة. لهذا سأعيد صياغة ما كتبته منذ لحظات عن الخط الأحمر الثالث، وأقول باختصار:

أنني - وقبل فارس سعيد - كنت أصنع سياجاً غير مرئي حول عقلي وقلبي وروحي وذلك لكي لا أتورط بأي علاقة جادة.. علاقة تمس القلب وتعذبه.

الخط الأحمر الرابع: عدم قبول الهدايا.

أي هدية، أياً كان شكلها، ومهما ارتفعت قيمتها.

قبل فترة، اشترى أحد الأصدقاء يختاً جديداً، وأقام فيه حفلة

امتدت إلى الفجر، ولم نعد إلى الشاطئ إلا في حدود السابعة صباحاً. في منتصف السهرة، وبعد أن أدارت الكؤوس الرؤوس، جلس بجانبي، وقال:

«سأسمي هذا اليخت باسمك».

نظرت إليه ببرود، وقلت:

«أنت حر.. تسميه باسمي.. تسميه باسم «أسامة بن لادن»!.. اليخت يختك، ولك الحق أن تسميه بالإسم الذي يعجبك، وأياً كان الإسم الذي ستختاره تأكد أنه لن يعنيني بشيء أبداً!»

نظرت إلى وجهه المسكين والصدمة تفعل فيه فعلها!

قبل أن أتركه وأذهب إلى الجهة الأخرى من اليخت، وكأني شعرت بتأنيب الضمير، سألته بمرح:

«تـُرى من الذي ابتكر هذا الشيء؟.. أقصد تسمية اليخوت. ولماذا لا نسمي سياراتنا مثلما يفعل أصحاب اليخوت؟.. تصدق!.. أنا أفكر الآن بتسمية سيارتي المرسيدس السوداء، ما الاسم الذي تقترحه؟!»

ظل المسكين صامتاً، بعد لحظات غادرتُ الطاولة التي كان يجلس إليها، وقبل أن ابتعد التفتّ إليه وقلت بصوت مسموع:

«كوندي... سأسميها كونداليزا رايس!!»... اطلقتُ ضحكة مدوية وابتعدت.

في ذلك المساء، الذي رأيت فيه «فارس سعيد» لأول مرة، لم يكن معي سوى «حنان». كانت مشغولة بالحديث عبر جهاز الموبايل مع صديقها، وكنت أنا مشغولة بتدخين «المعسل» ومشغولة أكثر بمتابعة ذلك الشاب الغامض.

أما هو، فلقد كان مشغولا بمجموعة من الأوراق أمامه. والقلم بيده اليمنى. أحياناً كأنه يقرأها.. وأحيانا يكتب.. وتمر لحظات طويلة كأنه يفكر بشيء ما.. وكثيراً ما يضع يده اليسرى على جبينه.. وأحياناً يمررها على أنفه وفمه.

يخيّل لي أحياناً أنه كان يشعر بأنني أراقبه، وأنني أنتظر التفاتة منه.

«هذا الشاب مغرور وشايف حاله»!

قلتُ لنفسي.. لكنني لاحظت أمراً غريباً دفع عنه تهمة الغرور دون أن يدري. فكلما انفتح باب المقهى الخارجي نظر إليه بسرعة.. كأنه ينتظر أحداً ما أو كأنه لا يريد أن يرى أحداً ما. وكانت الأصوات المفاجئة تستلفت نظره بسرعة، فهو يجفل من صرير الكرسي عند سحبه، وينظر بسرعة إلى اتجاه الصوت.

أغنية لـ«فيروز» ناعمة وهامسة كانت تزرع الهدوء في أرجاء المقهى، كان يبدو منسجماً معها.

قلت لنفسي: أجزم أن مزاجنا متقارب!

أنظر إلى شكله الخارجي: ملابس رياضية بسيطة، ولكنها لا تخلو من أناقة. يغطي رأسه بكاب رياضي. يرتدي نظارة شمسية سوداء.. رغم أن الإضاءة في المقهى خافتة!.. يحلق لحيته وشاربه. وكل هذه الأشياء فيه أراها متناقضة مع ملامح وجهه البدوي الأسمر.

وجهه البدوي ذكرني بذلك الشاب البدوي الذي التقيت به في سهرة في إحدى استراحات الرياض الفخمة. كنت مدعوة لزفاف ملكي هناك، في وسط السهرة أتاني اتصال على هاتفي المحمول من مجموعة أصدقاء يدعونني لسهرة أكثر مرحاً وحرية.

في «الاستراحة» ووسط الضحك والفرفشة والرقص والغناء، فعل الشراب فعلته برأس البدوي، ورفع صوته الرخيم غناءً بإحدى قصائد «بندر بن سرور» والتي أحفظها جيداً.. اقتربت منه.. طلبت منه أن يغني قصيدة أخرى لابن سرور. صرنا أنا وهو نردد قصائد بندر بن سرور، وبقية الشلة يرقصون على أغنية «لنا الله» لمحمد عبده.

في السادسة صباحاً - وأمام الجميع - سحبت البدوي إلى غرفة جانبية في الاستراحة الكبيرة، ودخلنا.. ومنحته كل ما يشتهيه.

لم يكن أجملهم أو أكثرهم وسامة، ولكن.. أردت أن أقول له، وعلى طريقتي: «شكراً».. لأنه يحفظ قصائد ابن سرور، وأردت أن أقول لكل الرجال الموجودين: تباً لكم.. لأنكم لا تحفظون سوى أغاني محمد عبده!

ـ هييه!.. أين ذهبت؟

كان صوت «حنان».. قلت لها: لا.. أبداً.. أنا هنا.

سألتها: أنهيت مكالمتك مع حبيب القلب؟

ضحكت، وقالت: من زمااااان!

قلت: نخرج؟

قالت: هيّا..

قلت لها: لحظة..

وأخرجت من حقيبتي ورقة صغيرة وقلم، وكتبت...

ووسط ذهول «حنان» حملت الورقة، وقمت من مكاني، واتجهت صوب طاولة «الشاب الغامض».. وقفت أمامه تماماً.. ووضعت الورقة الصغيرة على طاولته

قلت: «مبروك.. لقد فزت بأكبر جائزة يانصيب في الكون»!!
لم تكن مفاجأته وارتباكه أكبر من ارتباك صديقتي.
تركته بارتباكه، والتفتّ لـ«حنان» أشرتُ لها برأسي: هيّا.
خرجنا، ونظرات «الغامض» وكل من في المقهى تشيّعنا.
لم تقُل حنان شيئاً سوى كلمة واحدة:
«مجنونة»!!

الورقة رقم «٨»

في تمام الساعة العاشرة مساءاً، قـُرِع باب الشقة بعد ساعات من الانتظار والقلق والتفكير في أسباب هذه الزيارة.

خلال الساعات الماضية قُمت بعدة أشياء، حاولت من خلالها أن أطرد القلق، وأشغل نفسي عن التفكير بهذه الزيارة المفاجئة، وفي الوقت نفسه أستعد لها بشكل جيّد. قمت بترتيب الصالة ذات الأثاث البسيط. رتبت غرفة نومي أيضاً!.. جمعت ما تساقط على الأرض من مناديل ورقية جراء بقايا علاقة سابقة مع «تاء» ورميتها في المرحاض. تأكدت أن هذه الأوراق التي أكتبها في مخبأها الآمن.. تذكرت أنه يوجد في الثلاجة زجاجة نبيذ تبقى أقل من نصفها، أخذتها وخبأتها تحت السرير.. ما فعلته بزجاجة النبيذ لم يكن مصدره الخوف من «العقيد» لكني شعرتُ بشئ من الخجل.

*** ولم الخجل؟.. أكاد أجزم أن «العقيد» في ليالي أنسه، وبرفقة علية القوم، يشرب أضعاف ما تشرب أنت، ومن أنواع لم يسبق لك أن عرفت حتى أسماءها.**

اكتفيت بجمع مناديل «العلاقة الجنسية السابقة» أما زجاجة النبيذ فقد شعرت بـ«الخجل» منها؟!.. هذا هو الفقه البدوي الذي

يتباهى بفحولته ولا يتردد في إعلان غزواته وفروسيته بالجنس ولكن.. تأبى مرؤته أن يُعرف عنه أنه «شارب خمر»!

ثم إنك لم تكن خجلاً من «العقيد». لقد كنت خجلاً من نفسك.. خجلاً من «محمد الوطبان» الذي يُصلي فروضه منذ كان في العاشرة وبعدها بعام صام رمضان.. وحتى هذا اليوم ما زلت تؤدي الصلاة التي «تنهى عن الفحشاء والمنكر». تصلي رغم أن بقايا طعم النبيذ لازالت في فمك!

يا إلهي.. كم أنت متناقض!

أيضاً، قمت بتجهيز الشاي، ورششت الشقة ببخّاخ ملطّف للجو.. رغم أنني أكرهه، ويجعلني أشعر بالاختناق. والعادة أنني لا أرش الشقة بهذا النوع من ملطفات الجو إلا وأنا أقف على الباب مستعداً للخروج.

كانت الشقة تعج برائحة ملطف الليمون ورائحة السجائر، ففي الساعات الماضية دخّنت الكثير منها.

نهضت من مقعدي، وتوجهت إلى الباب، بعد أن استنشقت الكثير من الهواء.

نظرت من العين السحرية وأنا أحاول أن أسيطر على ارتباكي.. «إنها عيناه.. كم أكره هاتين العينين!».. كان بجانبه رجل آخر، يتلفّت، ويراقب الممر.

فتحت الباب، ودخل «العقيد» مسرعاً، حاولت أن أمد يدي

لأصافحه، ولكنه تجاوزني إلى منتصف الصالة. الرجل الآخر دخل بعده، وهو يمشي على جانبه، بل إنه لحظة دخوله لم أرَ إلا ظهره.. كانت عيونه مصوبة نحو الممر بحذر.. أخذ الباب من يدي وأغلقه، وتوجه إلى داخل الشقة مباشرة.. في الوقت الذي داهمني فيه «العقيد» مصافحاً، واحتضنني، وقبّلني على الخدين وهو يردد التحية التقليدية وما يرافقها من أسئلة عن الحال والصحة.

وكما يفعل صاحب المنزل.. أخذني من يدي وأجلسني على الكنبة وجلس بجانبي.

لحظتها عاد الرجل الآخر من داخل الشقة، وقال لـ«العقيد» بعد أن هزّ رأسه ملمحاً أن الشقة آمنة: تأمرني بشيء؟

قال «العقيد» بود: لا.. سلامتك.. انزل وأنا سأوافيك خلال دقائق.

لا أدري لماذا شعرت بشيء من الراحة عندما قال «خلال دقائق».

ما أن أغلق الباب حتى التفت إليّ «العقيد» وهو يبتسم ويربت على كتفيّ كما يفعل الآباء، وقال: أهلا بولدنا محمد.

قلت: أهلا بك..

أردت أن أنهض إلى المطبخ لأجلب له القهوة والشاي..

منعني، وقال: لا.. أنا مستعجل، ولديّ ارتباطات كثيرة..

وأضاف بود: السبب الرئيسي لهذه الزيارة هو أنني أريد أن أطمئن عليك.. أتيت إلى «جدة» بسبب اجتماع أمني طاريء وقلت لنفسي سأزور محمد.

- أهلا بك دائما.

ضرب كتفي وقال بلهجة فيها الكثير من التباهي: حتى تعرف أنني لا أنسى رجالي وأنني أهتم لهم كثيراً.

- شكراً طال عمرك.. هذا ما تعودناه منك دائماً.

سألني: هل ينقصك شيء؟

قلت له: أبداً.. كل شيء على ما يرام.

وبشكل غير متوقع.. قال وهو يبتسم بخبث (وكان يحاول أن يجعلها ابتسامة مرحة): هاه.. كيف أمورك مع «....»؟

ارتبكت، وانتفضت، كأن أفعى لدغتني.. أردت أن أجيب...

ولكنه أضاف، وهو يبتسم: لا عليك.. لا عليك.. من حقك أن تتسلى، ولكن كن حذراً.

اكتفيت بالابتسامة. كنت أجبر ملامحي على أن ترسم تلك الابتسامة، وكنت أحاول أن أبيّن له أنها أبتسامة خجلة!.. رغم أنني كنت منزعجاً لحظتها من كلمة «تتسلى»!.. ولماذا أتى على ذكر «تاء» باسمها الصريح؟.. هل لكي يُوصل لي رسالة، تقول: إن كل خطوة أخطوها يعلم بها «الجهاز»؟!

قطع حبل أفكاري المرتبكة، وقال: يجب أن تكون حذراً يا محمد. فأنت ما تزال أمام الجهات الأمنية الإرهابي المطلوب «أبو معاذ»، أما عند «الجماعة» فحتى آخر قائمة وصلتنا، ما يزال اسمك موجوداً ضمن قوائم المستهدفين بالاغتيال، بالإضافة إلى بعض الأسماء المهمة في البلد.

(فكـّرت: لا أذكر أن لدى «الجماعة» قوائم لاغتيال الشخصيات العامة!)

تنهّد، وأضاف: البلد تكاد أن تشتعل يا محمد، لم - ولن -

يحميها من الإحتراق إلا نحن. أنا، وأنت، و «الجهاز» بكل ما فيه من رجال مخلصين يقاتلون من أجل حماية هذا البلد.

كنت أستمع إليه بصمت، وأحيانا أهز رأسي، وأرى وجهه وهو يتبدل مع كل جملة بشكل آخر، وأتابع نبرة صوته وهي تتغيّر مع كل موقف يتحدث عنه.

قال: أبتليت البلد بهؤلاء المجانين، ما بين الفئة الضالة التي تأتيها الأوامر من جبال «تورا بورا»، وما بين الخونة الذين تأتيهم الأوامر من السفارات الأجنبية.

وأضاف بعصبية: و «الجهاز» وحده هو المطالب بمحاربة هؤلاء، والقتال على كل الجبهات.

كنت أتابع حديثه، وأكتفي بهز رأسي موافقاً لما يقوله.. رغم أن الكثير من قناعاتي اهتزت.. أو تغيّرت.

تنهّد، وقال: الله يعين.

ثم قام فجأة ليخرج. ورغم فرحي بخروجه، إلا أنني قلت له: لم العجلة؟

قال: أردت فقط أن أطمئن عليك..

قلت له، وأنا أعلق على وجهي أبتسامة كاذبة: أسعدتني كثيراً بهذه الزيارة سيدي.

نظر في عينيّ، ووضع يديه على كتفيّ، وقال: أصدقني القول، هل ينقصك شيء؟

قلت له: أبداً..

قاطعني: أي شيء؟

ابتسمت، وقلت: أبداً يا سيدي، وألف شكر لك لاهتمامك.

سألني: هل تأتيك الرواتب والمكافآت على الحساب الجديد، وباسمك الجديد؟

قلت: نعم

قال: ولا تتأخر أبداً؟

قلت: أبداً.. دائماً أستلمها في وقتها، ودائما هنالك فائض في الحساب.

قال: وأجهزة التواصل مع «الجهاز»...

قلت: كل شيء رائع.. اطمئن سيدي.. كل شيء على ما يرام..

قال: رائع.. رائع.. أهم شيء يا محمد الإخلاص لـ«الجهاز» لأنك لحظتها تخلص للبلد، وعليك باتباع الأوامر حرفياً من أجل مصلحة البلد ومصلحتك الشخصيّة، وتأكد أن «الجهاز» سيحميك.. فـ«الجهاز» لا ينسى أبناءه. وكن حذراً دائماً.. كن حذراً.

خرج، ومع خروجه كأن الصالة أمتلأت بالأكسجين.

أشعلت سيجارة، وتمددت بارتياح على الكنبة.. وأجّلت التفكير وتحليل ما قاله لي.. وما لم يقله!

ورقة رقم «٩»

في الفترة الأخيرة اكتسبت عادة سيئة جديدة، بجانب مداعبة شعر رأسي، واختيار خصلة ما بأصابعي.. ونزعها من مكانها!

العادة الجديدة: نزع اللحم الميت من باطن القدم. أنزعه بأظافري حتى أدميه.

الساعات الطويلة من الفراغ والوحدة بإمكانها أن تعلمك الكثير من العادات السيئة.

انتظار.. انتظار.. انتظار...

ما أسوأ الإنتظار.

ويكون أكثر سوءاً.. يكون قاتلاً.. عندما لا تعرف ما هو الشيء الذي تنتظره!

*** عاداتك السيئة كثيرة، ولكنك لا تريد أن تعترف بها!**

بالضبط، مثلك مثل بقية أبطال الروايات السعودية، كلكم شرفاء ونبلاء وشخصيات مثالية!.. ثم قل لي: لماذا تشتكي من الفراغ والوحدة وأنا بجانبك؟.. لو كنت تحاورني وترد على استفساراتي وملاحظاتي تجاه ما تكتبه في هذه الأوراق لما شعرت بالوحدة والفراغ.. ولكنك تحاول أن تتجاهلني ولا ترد عليّ..

ـ لن أرد عليك، لأنه لا وجود لك..

*** ها أنت ترد!.. وهذه العبارة التي كتبتها الآن «لن أرد عليك لأنه لا وجود لك» لمن كتبتها؟.. وعلى من ترد؟!**

ـ أرد على «نفسي» التي تحاول أن تقنعني بوجودك.

الورقة رقم «١٠»

منذ أن وعيت على هذه الدنيا، وبدأت أفهم الكلمات ومعانيها، وأنا أسمع والدي وهو يردد: «أخــو نــوره».

يقولها عندما يغضب.

ويقولها عندما يعلم فجأة بوفاة عزيز عليه.

ويقولها أحياناً حتى عندما يتعثر عند عتبة الباب!

عندما كنت طفلاً، كنت أظن أن نورة تلك التي «ينتخي» بها والدي هي شقيقتي الكبرى، وكنت أتساءل: لماذا لا يقول «أبو نورة»؟!.. بعدها بسنوات عرفت أن «نورة» عمته الكبرى وشقيقة جدنا الأول «وطبان».. ولم يكن والدي وحده من يفعل هذا فكل أسلافه ينتخون بـ«نورة».

أخبرتني والدتي بأن أول من انتخى بـ«نورة» هو جدنا الأول «وطبان».

سألتها: ولماذا لم تكن نخوته بـ«مثقال» شقيقه؟

قالت: لا أدري.. كل البدو نخوتهم تكون بأسماء البنات..

أكتب هذا الكلام، وأنا أبحث عن مدخل للحديث عن شقيقتي «نورة»، فأنا مثل أي رجل بدوي لا أريد الحديث بوضوح في هذه

الأوراق عن أخواتي البنات!.. ولكن.. كيف لا أتحدث عن أختي الرائعة «نورة»؟

*** يا لغرابتكم!.. عند الشدائد تستدعون أسماء عماتكم وأخواتكم لكي تنتخون بأسمائهن: «أخو فلانة». وعندما تمتدحون بعضكم البعض تقولون: «هذا أخو فلانة».. ولكن.. عندما يسألكم أحد ما عن أسماء أخواتكم أو زوجاتكم تنتفضون غاضبين وكأنه يسألكم عن مقاسات ملابسهن الداخلية!.. حتى الزوجة عندما يأتي سياق الحديث إليها تُلمحون لها بـ «أم العيال» أو «الأهل» كأنه لا اسم لها تستطيعون أن تنطقوه بكل بساطة.. كأن اسمها عورة!**

ثم تدّعون أنكم تحترمون المرأة.. والمصيبة أنكم تُصدقون ادعاءكم هذا!

«نورة» فيها رجولة لا يملكها نصف الذكور الذين عرفتهم من البشر.

وإذا كان الجنس ينقسم إلى ذكر وأنثى (وذلك قبل أن نعرف الجنس الثالث والرابع) فإنني أرى أن كلمتي «رجل» و «امرأة» ليستا سوى صفتين لوصف هذا الجنس أو ذاك.. فليس كل ذكر رجل، وليست كل أنثى امرأة. وطالما أن هناك رجال يوصفون - لسبب ما - بأنهم «نساء»، فلا بد أن هناك نساء يوصفن بأنهن رجال.. و«نورة» رجل!

في طفولتي، وعندما كنت أتعرض للمضايقة من الأطفال الأكبر

مني سناً، كانت تتدخل «نورة» بعد أن تغطي رأسها ووجهها برداء أسود «شيلة». . وتخرج إلى الشارع لتمسك بمن آذاني وتؤدبه بصفعة على وجهه أو قرص أذنه حتى يتحوّل لونها من الحنطي إلى الأحمر، وأثناء فعلها هذا، تنظر إلى عينيه وتقول له بصوت رجولي: إذا كررتها مرة أخرى، وتعرضت لـ«محمد». . سأقتلك!

ولا أذكر أن أحدهم كررها معي. ثم إنها لا تكتفي بهذا، بل تسحبني إلى البيت لتعطيني محاضرة عن معاني الرجولة، وتتبعها بأوامر مثل «كن شجاعاً. . وأضرب من يضربك. . ولا تبكي. . إياك والبكاء. . الرجال لا يبكون».

حادثة لا أزال أتذكرها مثل حلم:

في آخر العصر، وقبل غياب الشمس، أحدهم يتجادل مع والدي في أمر ما. . شيئاً فشيئاً ترتفع الأصوات. . و. . لحظات و «نورة» تقفز من أمامي وتذهب إلى مجلس والدي وتفتش عن شيء بين أغراضه. . أظنها وجدته. . وسريعاً ذهبت إلى باحة المنزل، حيث «ابن جلهم» يتجادل مع والدي.

تبعتها. . وأصابني الفزع ممّا رأيت.

كانت «نورة» تحمل بندقية والدي وتوجهها إلى رأس «ابن جلهم».

ووالدي لا يدري ما الذي يحدث خلفه، ولكنه لاحظ ارتباك «ابن جلهم» وانخفاض صوته وتلعثمه في الكلام. . نظر إلى عينيه ووجد أنهما لا تنظران إليه. . بل تنظران إلى شيء وراءه. إلتفت والدي وإذا بـ«نورة» وراءه وهي تحمل بندقيته وكأنها تستعد للتصويب على رأس «ابن جلهم». . وما بين الضحك والغضب. .

نهرها والدي: أدخلي يا بنت..

والتفت إلى «ابن جلهم» وقال له: إذهب.. إذهب.. سأتفاهم معك لاحقاً ولن تجد إلا ما يرضيك.

وعاد إلى «نورة» وسحب منها البندقية، وأدخلها داخل المنزل، وهو يعاتبها على ما فعلته.. وكان ردها الوحيد عليه:

قل لـ«ابن جلهم» هذا، إذا كررها مرة أخرى، ورفع صوته على سيده «سلطان الوطبان» سيحصل على رصاصة في رأسه!

أعطى والدي البندقية إلى أمي، وأخذ يضرب يده اليمنى باليسرى، وهو يردد:

أشهد بالله أن هذه الفتاة مجنونة!

كان والدي يمثل دور الغاضب، وهو من أشد المعجبين بما فعلته «نورة».. حتى أنه في اليوم التالي صار يروي ما حدث للمقربين منه وهو يضحك.

كانت أقرب وأحب بناته إليه.. بل إنه كان يستشيرها بأمور لا يُستشار بها سوى الرجال.. ويثق برأيها كثيراً.

عندما استطاع والدي - وبمساعدة بعض بني عمومته ممن لهم علاقات مع الأمراء - إنهاء إجراءات تجنيس «عباس شنان الدليمي» اتفق مع «عباس» على أن يكون اسمه الجديد هو «محمد عبدالله الوطبان الشمري». لم يرق هذا الاختيار للكثير من «شيبان» قبيلتنا، وقالوا لوالدي:

لا بأس بأن يحمل اسم «الشمري» طالما أنه من قبيلة معروفة، وهو «حليف» لنا، و (المربى يغلب الأصل) ويستحق أن يحمل

اسم القبيلة.. ولكن.. لا داعي لأن يحمل اسم «الوطبان» أيضاً!
ولم يكن والدي يرد عليهم.

ذات مساء، وهو في فراشه، دخلت عليه «نورة».. جلست بجانبه، وأخذت تدلك رأسه.. وقالت، دون مقدمات:

أبي الغالي.. لا يحق لك أن تجعل «عباس» يحمل اسم «الوطبان»!

لم يرد عليها.. فأضافت:

«عباس» وزوجته «بدرية» عزيزين علينا ونحبهم.. ونعلم أنهم هم وأجدادهم «حلف» لك ولجدي وجد جدي.. ولكن.. اسم «الوطبان» ليس اسماً لك وحدك حتى تمنحه لمن تشاء.. هو ملكي وملك أخي الصغير «محمد» وملك جدي وجد جدي.. وهو اسم يعني كل من تربطه صلة رحم بنا. هذه يا والدي فيها أنساب.. وفيها أشياء تظهر في المستقبل ولا يعلم فيها إلا الله.. ألا يكفي أن يحمل اسم «الشمري» ويعيش بيننا معززاً مكرماً مثل أي ابن عم؟

ما لم يستطع فعله الرجال طوال الأسابيع الماضية استطاعت «نورة» فعله خلال نصف ساعة!

بعدها بأسبوع، حصل «عباس شنان» على الجنسية السعودية باسمه الجديد «محمد عبدالله الشمري» دون إضافة لقب «الوطبان» واحتفل والدي بهذه المناسبة بأن ذبح أربعةً من الخراف السمينة، ودعى الجميع لهذه المناسبة.

وبعدها بأسبوع أيضاً.. حدث أمر آخر أضحك الكثيرين..

أتى «ابن جلهم» بعد صلاة الفجر من المسجد مباشرة إلى مجلس والدي، وقبل أن يحضر الآخرون لتناول القهوة.. أتى لكي يخطب «نورة» لولده!

طبعاً «نورة» رفضت، ولم يكن أول من ترفضه..، فهي تُصر على أن تبقى بجانب أبي - كما تقول - إلى أن أكبر و أصبح رجلاً يعتمد عليه.

كانت «نورة» أختي، و «أخي»
وأحياناً كنت أراها «أمي» الثانية.

الورقة رقم «١١» ـ تقرير صحفي

قالت «الجماعة» في بيان نشر على موقع للانترنت مرفقاً بصور إنه تم «نحر» الرهينة الاميركي «بول مارشال جونسون» اليوم الجمعة مع انتهاء المهلة التي حددها زعيم «الجماعة» في السعودية «عبدالعزيز المقرن». ونشر التنظيم ثلاث صور للرهينة الاميركي وهو مقطوع الرأس على موقع للانترنت. وقال البيان الذي نشر على الموقع «تنفيذاً لما تم الوعد به قام المجاهدون من سرية الفلوجة بنحر الأسير الأمريكي بول مارشال بعد انتهاء المهلة التي حددها المجاهدون لطواغيت الحكومة». وأكدت «الجماعة» أن قطع الرأس جاء «ليذوق (الرهينة) شيئاً مما ذاقه المسلمون الذين طالما صلتهم الطائرات الأميركية بلهيبها.. تلك الطائرات التي كان العلج الأميركي القتيل رابع أربعة يشرفون على صيانتها وتطوير نظمها الإلكترونية في بلاد الحرمين». وأضاف البيان «نحن بعون الله ماضون على هذه الطريق لنشفي صدور المؤمنين في فلسطين وأفغانستان والعراق وجزيرة العرب وبلاد الإسلام لنذل عساكر الشرك والكفر حتى تقوم دولة الشريعة والتوحيد غير ملتفتين الى المخذلين ونعيق الخائبين ممن يرفع صوته غضباً لأسر نصراني عسكري وقتله».

وختم مؤكداً أن «على الأميركان ومن والاهم من أهل الكفر

والإجرام المتحالفين على ضرب الإسلام أن يعتبروا هذا العمل نكالاً لهم وعبرة ليوقنوا أن من قدم بلادنا منهم سيكون هذا الجزاء الرادع مصيره».

وفي الرياض، قال متحدث باسم السفارة الأميركية إنه «على علم بهذه الأنباء».

وظهرت على الموقع ثلاث صور للرهينة وهو مقطوع الرأس ففي الأولى ظهر رأسه متدلياً إلى الأمام وبجانبه السكين التي يبدو أنه نحر بها. فيما يظهر في الصورة الثانية شخص يحمل رأس الرهينة جونسون أما الثالثة فيظهر رأس جونسون فوق جثته وهو ممدد على بطنه بلباس برتقالي اللون على سرير. ونقلت وكالة «رويترز» عن وكالة الانباء السعودية قولها إن الشرطة السعودية عثرت على جثة جونسون في حي المونسية شرقي الرياض.

وقبيل ذبحه مشط الاف من رجال الأمن السعوديين يساندهم عملاء من مكتب التحقيقات الاتحادي الأميركي وصلوا الي العاصمة الرياض بحثاً عنه بينما توسلت أسرة الرهينة لانقاذ حياته قبل انتهاء المهلة التي حددها التنظيم بقتل الرهينة ما لم تفرج السلطات السعودية عن عدد من المتشددين.

ورفضت السعودية الاذعان لمطالب «الجماعة». وقال بول جونسون ابن الرهينة الأميركي بول مارشال جونسون في حديث مع قناة العربية التلفزيونية الفضائية من الولايات المتحدة «من فضلكم أطلقوا سراح أبي.. إنه يحب المسلمين.. المملكة العربية السعودية هي وطنه». وحثت تانوم زوجة جونسون التايلاندية السلطات الأميركية على انقاذ زوجها.

وقالت بانجليزية ركيكة «حين أرى صور زوجي أتألم كثيراً..

أسقط على الأرض. . إنه رجل مريض ويحتاج إلى دواء. . ولم يرتكب أي خطأ».

وقال مسئول سعودي رفيع المستوي في واشنطن رفض أن ينشر اسمه إن فريقاً يضم نحو ٢٠ من عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي المتخصصين في إنقاذ الرهائن والمفاوضات يعملون مع الجانب السعودي.

وقال المسئول إن أكثر من ١٥٠٠٠ من ضباط وأفراد الأمن السعوديين يقومون منذ يومين بالبحث عن جونسون في الرياض وإنهم يقومون بعمليات تفتيش من منزل إلى منزل في بعض ضواحي المدينة التي تعد من المعاقل القوية لمتشددي «الجماعة» والمتعاطفين معها. وأضاف المسئول إنه تم تفتيش أكثر من ١٢٠٠ منزل حتى ليلة الخميس وإن عمليات التفتيش مستمرة.

وجونسون يعمل في شركة لوكهيد مارتن لمقاولات الدفاع وهو أول غربي يتعرض للاختطاف في سلسلة من الهجمات بدأها المتشددون في المملكة منذ أكثر من عام. وعرضت «الجماعة» على أحد مواقع الانترنت جونسون الذي اختطف في الرياض السبت معصوب العينين وهو يجلس على مقعد وقد ظهر وشم على أحد ذراعيه. وقالت «الجماعة» إنها تلجأ إلى الهجمات والخطف لتثأر من الانتهاكات التي ترتكبها الولايات المتحدة بحق السجناء المسلمين.

وكان زميل سعودي للرهينة الاميركية جونسون دعا خاطفيه الى الإفراج عنه، مؤكدا انه «أجاره». وفي رسالة نشرت على موقع قناة «العربية» الفضائية على شبكة الانترنت، قال السعودي سعد المؤمن زميل الاميركي «وجهت لهم (للخاطفين) رسالة أجرته فيها». واضاف «إذا كانوا مؤمنين حقا يقفون عند النصوص الشرعية

ويأتمرون بشريعة الله ولا يتبعون أهواءهم وينتصرون لذواتهم فإنهم سيطلقون سراحه فور قراءتهم للرسالة». واضاف ان بول «الذي يعمل معي بدأ يتعرف على الاسلام بعد ان أهديته كتبا إسلامية وترجمة للقرآن الكريم». وقال موجها خطابه للخاطفين «لو تنزلنا معكم على ان الحكومة السعودية لا يحق لها ان تعطي هؤلاء الأمان فقد أعطيت أنا هذا الرجل الأمان وأجرته (. . .) إذا كنتم تكفرون الحكومة فمن أعطاكم الحق بتكفير آحاد الناس»؟. وتابع «إن كنتم تكفروننا جميعاً فهذا عمل الخوارج وان كنتم لا تكفروننا فوجب عليكم إطلاق سراح الرجل لأن الأمان ينعقد من آحاد الرعية».

وحول الرهينة الاميركي، أشار المؤمن الى «اهتمامه بالإسلام». وقال ان «مظهري أوحى له بالتزامي فبدأ يسألني ويدخل معي بحوار حول الاسلام ويناقشني في مسائل منها نظرة الاسلام للمسيح عليه السلام وأمه الصديقة». وتابع «دعوته إلى بيتي وتناول معي الطعام واخذ مني كتب باللغة الانكليزية حول الاسلام»، مؤكدا انه «من الخطأ ان تعاملوا الأميركيين جميعا من منظور الحكومة الأميركية. نحن لنا مواقف مستقلة وأنا غير راض عن تصرفات حكومتي».

وأكد ان الرجل «لا علاقة له بالقوات الاميركية من بعيد أو من قريب وهو معارض للسياسة الاميركية ومهتم بالإسلام»، متسائلا «بأي مبرر يتم اختطافه أو قتله؟». واضاف «حتى الآن أحسن الظن في هؤلاء وأظن ان هذا الموضوع سيجعلهم يراجعون موقفهم من بول وهم يعرفون جيدا عقوبة من يتجاوز ذمة المسلمين».

ودعا الخاطفين الى التراجع عن موقفهم. وقال «من مصلحتنا أن يرجع بول إلى بلاده مسلما يعرف ان المسلمين قوم لا يكرهون أحدا ويحترمون بعضهم ويتكاتفون فيما بينهم، فيكون لسانا لنا هناك

ونكسب بذلك في الدنيا شخصا يدافع عن قضايانا بلسان قومه».

بالمقابل قتلت قوات الامن السعودية في الساعة الاولى من يوم السبت عبدالعزيز المقرن مسئول «الجماعة» في السعودية وذلك في منطقة الملز وسط الرياض وذلك بعد ساعتين من الإعلان عن نحر الرهينة الاميركي بول مارشال جونسون وقتل في العملية اثنان اعتبرا من اخطر المطلوبين لسلطات الامن.

واكدت قناة العربية التي تبث برامجها من دبي النبأ ونقلت صورا عن ساحة المعركة في منطقة الملز وظهر التواجد الأمني الكثيف والمروحيات تحلق في المكان وحارب المقرن المعروف باسم «أبوهاجر» في أفغانستان عندما كان عمره ١٦ عاما وانتقل الى البوسنة والجزائر والصومال وهو ثالث قائد للجماعة يقتل في الجزيرة العربية في اقل من عام بعد يوسف العييري ثم يوسف حاج الذي خلف العييري واخيرا المقرن.

وتأتي العملية الأمنية بعد قليل من إعلان «الجماعة» في بيان نشر على موقع للانترنت مرفوقا بصور انه «نحر» الرهينة الاميركي بول مارشال جونسون مع انتهاء المهلة التي حددها زعيم «الجماعة» في السعودية عبدالعزيز المقرن.

من جهة أخرى نفى موقع إسلامي السبت، التقارير المتناقلة عن مصرع زعيم «الجماعة» في السعودية عبد العزيز المقرن في مواجهات مسلحة مع قوات الأمن السعودية الجمعة، بالإشارة إلى أنها مزاعم كاذبة «تهدف إلى إثناء عزيمة المجاهدين وسحق معنوياتهم»، وفق وكالة الأسوشيتد برس. وبحسب المصدر ذاته، لم يتسن التأكد من مصداقية النفي الذي ظهر في نفس الموقع الإلكتروني الذي نشر في السابق بيانات «الجماعة».

هذا وقد أكد مسئول أمريكي، رفض الكشف عن هويته، مقتل المقرن، ٣١ عاماً، فيما قال مسئول سعودي إن الاختبارات التي ستجرى لاحقاً، ستؤكد هويته!

الورقة رقم «١٢»

قبل آب ١٩٩٠م كانت «رفحاء» مدينة صغيرة لايعرفها أحد غير أهلها، وبعض العابرين الذين يمرونها على الطريق الدولي والذي يربط بلاد الخليج العربي مع بلاد الشام. في الغالب كانوا يتعاملون معها على أنها محطة بنزين يتزودون فيها من الوقود، أو مطعم صغير ذبابه أكثر من زواره!

في أغلب الأحيان هي بالنسبة لهم «مطب» صغير في طريق دولي طويل جداً، وخطير جداً، ومليء بالحوادث القاتلة.

قبل آب ١٩٩٠م كانت «رفحاء» مدينة صغيرة..، أشعر أنني أبالغ أحياناً عندما أقول: مدينة.. هي «شيء» يحاول أن يصبح مدينة صغيرة.

على هذا الطريق الدولي، وعن طريق صديقي وزميل الدراسة «سليمان العنزي»، تعرفت على «مصطفى النجيدات»، وهو سائق شاحنة من الأردن يعمل على شاحنته من مدينة الزرقا الأردنية إلى مدينة الدمام السعودية.

«مصطفى» فتح لي نافذة على هذا العالم.

صرت أعرف أشياء جديدة وغريبة ومدهشة عن هذا العالم الذي

أعيش فيه. كان «مصطفى» يُهرّب لنا، أنا وصديقي سليمان، الصحف والكتب وأشرطة الكاسيت.

في البدء كانت تستهويني الأشياء الممنوعة. تلك الصحف التي تُهاجم حكومتنا، والكتب الصفراء التي تؤلف الحكايات الغرائبية عن الأمراء وأساليب عيشهم. بعدها بدأ زمن قصائد مظفر النواب وأحمد مطر وروايات عبدالرحمن منيف وأغنيات مارسيل خليفة، وصار يستهويني أي شيء له علاقة بالرفض والثورة. وشيئاً فشيئاً تغيّرت الاهتمامات، وتغيّرت العناوين، وانفتحت كل النوافذ الملونة، وهبّ هواء مختلف ومنعش على رأسي الصغير.

كان أجمل المواعيد موعد مصطفى النجيدات.. كنا ننتظره بشغف ولهفة، ونتمنى أن يكون قد أتى بالقائمة الأخيرة كاملة. وأحياناً لا تخلو القائمة من مفاجآت تأتي على شكل كتاب جديد نصحه به البائع في المكتبة، أو شريط غنائي حاز على إعجاب مصطفى ورأى إضافته للقائمة، رغم أن ذوقه لم يكن يتوافق كثيراً مع ذوقي.

نأخذ الحمولة الجديدة منه، ونسلمه مبلغ الحمولة القادمة ومعها قائمة بما هو مطلوب ويخبرنا أنه الثلاثاء القادم سيكون في موقف الشاحنات على الطريق الدولي. وزيادة في الحرص واللهفة نبدأ بالبحث عنه من يوم الأحد.

بعدها وجدنا حلاً في اختلاف المواعيد، وذلك بالاتفاق مع «عبده اليمني» صاحب المطعم المقابل لموقف الشاحنات. صار «عبده» يُسلم «مصطفى» القائمة الجديدة ويستلم منه ما تم طلبه في القائمة السابقة.

وفجأة، انقطع مصطفى، ودون سابق انذار.

هل أكله طريق الشمال، هذا الطريق الذي لا يشبع من الحوادث؟

هل قُبض عليه وهو يقوم بتهريب الكتب والأشرطة؟.. أم أن نجاح هذا «التهريب الصغير» أغراه على تهريب ما هو أكبر وأخطر؟!

أم أنه - وببساطة - توقف عن هذا العمل المرهق، والذي يقطع خلاله ثلاثة آلاف كيلوا مترا ذهابا وأياباً؟

كنا نعلم أن مصطفى كان «يدبّل» السعر علينا.. ولكنا حزنا كثيراً لغيابه.

غاب مصطفى بعد أن هزّ رأسي الصغير بما يجلبه لي من الكتب، أتى بهدوء وغاب بهدوء.. ولكنه ترك العاصفة هنا.. هنا في رأسي الصغير الذي صار يبتكر الأسئلة الغريبة والجريئة، ولم تعد تقنعه الاجابات الجاهزة.

ورقة مفقودة

الـورقة السابـقة حملت الرقم (١٢)

والورقة اللاحقة تحمل الرقم (١٤)

هل نسي محمد الوطبان كتابة هذه الورقة؟ . . أم أنه لسبب ما تعمد تجاوزها؟!

أم أن كل ما حدث هو أن محمد الوطبان ارتكب خطأً صغيراً في ترقيم الصفحات؟

أم أنني أنا التي فقدتها ـ رغم استبعادي لهذا الإحتمال ـ لكثرة نقلي لهذه الأوراق من مكان سري إلى مكان آخر أكثر سـرية؟ . . إن كنتُ أنا السبب فلن أغفر لنفســي أبداً!

«السيدة تاء»

الورقة رقم «١٤»

كم هي فاضحة هذه العيون؟

كأن العيون: نوافذ، وعقولنا: منازل.

من خلالها نطل على الخارج، ومن خلالها أيضاً يستطيع هذا الخارج أن يتلصص على منازلنا / دواخلنا / مشاعرنا المتناقضة.

نكذب أحياناً.. وتفضحنا عيوننا وتقول الحقيقة كاملة رغماً عنّا.

نغضب أحياناً على من نحب، ونحاول قدر استطاعتنا أن نخفي هذا الغضب، ولكن هيهات، هذه العيون الفاضحة تخبرهم بأننا غضبنا لحظتها. وما لا تقوله العيون.. تُكمله الوجوه.

أظن أنني ورثت من أجدادي البدو بعض «الفراسة».. وتحديداً معرفة الناس من وجوههم وأعينهم. من أول لقاء أحاول قراءة وجه من ألتقي فيه، ومن اللقاء الأول أحدد بيني وبين نفسي: هل سأتواصل معه؟.. أم أن هذا اللقاء سيكون الأول و الأخير؟!..

وفي أغلب الأحيان تكون قراءاتي جيدة، وقراراتي صائبة.

أيام الكلية العسكرية، وعندما يتعرف الأصدقاء على وجه جديد، كان «علي الزهراني» يقول بمرح وجديّة لبقيّة الأصدقاء:

لحظة يا شباب، لا تستعجلوا في قبوله أو رفضه.. دعوا «محمد الوطبان» يراه أولاً..!

العيون الوحيدة التي استطاعت أن تهزم «فراستي» تلك.. وبإمكانها أيضاً أن تهزم كل فراسة البدو.. هي عيون سيدة القلب «تاء».

أنظر إليهما، فترتبك الفراسة، وتتحوّل من قارئة جيدة إلى طفلة تتلعثم بالحروف.

أحياناً أرى في عينيها الكثير من الشغب.

وأحياناً لا أرى سوى الشهوة والرغبة.

وفي أغلب الأحيان أرى طفلة لم تكبر.. وترفض أن تكبر.

في بعض اللحظات النادرة أرى فيهما حزناً دفيناً لا أعرف سببه، رأيته مرتين أو ثلاث مرات وذلك عندما تتجرع الكأس الرابعة.. أراها تسافر بعيداً وهي معي.. وعندما تعود تبتسم.. رغم أن عينيها تبكيان بلا دموع.

الأكيد، أنني لم أرَ في تلك العينين الحبيبتين الساحرتين أي شيء أكرهه. لم أرَ فيهما ما يجعلني أشعر بالريبة أو الحذر تجاههما.

إنها العيون والوجوه.. تقول لك ما لا يُقال، وتفضح ما هو خفي في النفوس. آمنت أن الله يخلق وجوهنا، ونحن نُكمل تحديد الملامح بأخلاقنا وأفعالنا. النفوس الطيبة لها وجوه طيبة، حتى وإن لم تكن ملامحها جميلة. والنفوس الشريرة لها وجوه شريرة، حتى وإن كانت هذه الوجوه بغاية الجمال.

ما يُزرع في داخل النفس، تخرج ثماره في ملامحنا الخارجية.

كان أهلي البدو يرحبون بالضيف الغريب عند قدومه إليهم، ويقولون له:

«تفضّل يا وجه الخير».

بعد ثلاثة أيام - على أبعد مدى - يحددون هل هو «وجه خير» حقاً، أم أنه «وجه شر»؟!

أذهب إلى المرآة لأتفحص وجهي..

أصابني الفزع!.. لم أرَ وجهي في وجهي.

كان وجهي بلا ملامح واضحة!

*** لا تفزع يا صديقي!.. وجهك هو وجهك.. لعل الخلل في عيونك.. أو أن «نظرتك» للأشياء تغيّرت، وأصبحت ترى ما لا تراه سابقاً!**

الورقة رقم «١٥»

قبل آب ١٩٩٠م كانت «رفحاء» نقطة صغيرة على الخارطة، تكاد لا ترى بالعين المجردة. بل إن الغالبية العظمى من السعوديين لا يعرفونها، والذين يسمعون بها لا يعلمون أين تقع تحديداً.

بعد آب ١٩٩٠م، وبعد غزو صدام للكويت، صار العالم.. كل العالم يعرف رفحاء. وصار اسمها يتردد يومياً عبر الأثير، من إذاعة البي بي سي البريطانية حتى أصغر إذاعة محلية.. وكنا نضحك على طريقة نطق بعض المذيعين لاسم «رفحاء».. وأحياناً نغضب!

هنا اجتمع لاجئو الكويت والعراق في مشهد غريب.

ومن هنا مرّت القوات الامريكية والفرنسية.

وهنا فُتحت أبواب البيوت للجميع دون السؤال عن الهوية..

وهنا كنا نرى في شارع واحد: العراقي، والكويتي، والامريكي، والسعودي، والفرنسي، وبعض الجنسيات الأخرى التي تنتمي لبلدان لأول مرة يسمع بأسمائها «شيبان» قبيلتنا، ولم يظنوا أن هذه البلدان لها وجود على الكرة الأرضيّة. هذا إذا كانوا يقتنعون أصلاً أن الأرض كروية!

هنا ارتبكت المشاعر، وكان الحدث أكبر من أن يستوعب لحظتها.

كنا لا ندري نحن مع من أو ضد من؟.. لهذا، الأغلبية تعاملت مع الزوار الجدد، من أصحاب العيون السوداء إلى أصحاب العيون الملونة، على أنهم مجرد «ضيوف».

كنا صغاراً، نحلم برؤية هذا العالم، وأكتشافه.

فجأة.. أتى هذا العالم إلى «رفحاء» لنراه بأبشع صوره.

إنها الحرب!

الورقة رقم «١٦»

في إحدى زياراتها لي، أخرجت من حقيبتها الثمينة «ماركة فندي» ـ كما أتذكر ـ زجاجة نبيذ فاخر. قالت انها من مجموعة زوجها، أهداها له في بيروت رجل أعمال لبناني. سألتها، وأنا الحذر من كل شيء: ألن يفقدها؟

قالت: هو الآن مسافر ليحضر اجتماع مجلس الادارة في الرياض، وهو يعلم أنني أشرب في حضوره وغيابه، وعلى العموم هو لن يفقد هذه الزجاجة، فالمستودع ممتلئ.. ومن كافة الأشكال.

قلت، وأنا أقلب الزجاجة بيدي، وأدّعي معرفة الأنواع:

ـ ولكنها فاخرة.. وعتيقة

ابتسمت وقالت:

ـ في المستودع ما هو أفخر وأقدم.. وبأعداد كبيرة لم ولن تتخيلها.

عند منتصف الكأس الثالثة، قلت وأنا أنظر لكأسي: هل كان ذلك العنب يتخيّل أنه سيصبح هذا النبيذ؟.. هل كان له خيار في هذا الأمر؟

قالت: هناك عنب ينتهي أمره وهو عنب. وهناك ما يُعصر لكي يصبح عصير عنب. وهناك هذا المحظوظ الذي يتحوّل إلى نبيذ،

وهناك العنب سيء الحظ الذي يتحوّل إلى زبيب..

كتمتُ ضحكة كادتْ تطير في أرجاء الغرفة، فقد تذكرتُ وجه «العقيد» عندما قالت «زبيب»!

لاحظتْ ضحكتي المكتومة، فبادرتها مبرراً: تذكرتُ " زبيبةً" صلبة..!!

ضحكتْ حبيبتي ونظرتْ إلى السائل الأحمر في كأسها، همست ضاحكة تخاطب كأسها المحظوظ:

إحمد ربك.. لم تصبح زبيباً يُنثر على مائدة دسمة ليلتهمك مجموعة من السادة الأغبياء!

نظرت إليها بوله، وقلت دون تفكير، وأنا أبتسم: يااا إلهي.. كم أنت ساحرة..

ابتسمت بفرح وقالت: هل تعرف ما هو أفخر أنواع النبيذ في هذا العالم وأكثرها لذة؟

قلت: لا..

اقتربت مني، وداعبت أنفي بأنفها، وقالت: أنت!

وأخذت تشربني هنا.. وهنا.. وهناك.. وهي مغمضة العينين..

وقبل أن تأخذني معها في غيبوبتها اللذيذة.. قلت لنفسي:

يا ليتني أعود عنباً..

يا ليتني أعود عنباً!

* حسك الديني يمنعك من الغوص في المشهد الجنسي،

وتفاصيله اللذيذة، خوفاً من أن يأتي قاريء مراهق ويمارس عادته السريّة على هذه الورقة!

ـ يا أخي أنت بذيء ووقح

*** لا. . أنا صادق، وأنت مراوغ!**

ـ مداخلاتك تلك تـرُبك لغتي. .

*** لا شأن لي بلغتك، ولا تهرب من ملاحظتي، وقولك بأنني «بذيء ووقح» هذا ليس رداً. .**

ـ أنت متناقض

*** كيف؟**

ـ مرة تقول بأنني أريد أن أستفز التيار الديني لكي يُهاجم هذه الأوراق وأحظى بالشهرة، ومرة تقول بأن حسي الديني يمنعني من الغوص في المشهد الجنسي.

*** الحقيقة أنك بهذا الشكل، وهذا دليل على أنك أنت المتناقض!. . أنت، ومنذ أول كتاب هرّبه لك «مصطفى النجيدات» حتى آخر كتاب قرأته، صرت تعرف المزاج العام للقاريء. . صرت تعرف الممنوعات التي تجذبه، وهي هنا - وفي أغلب الأماكن في العالم - الجنس، والدين، والسياسة. . لكن لا توجد لديك الجرأة الحقيقية للدخول إلى هذه المناطق. . رجل الأمن في داخلك يقف على رأس الفتى القديم فيك الذي كان يقف على الطريق الدولي في «رفحاء» ينتظر الكتب المُهربة ويدفع كل مصروفه الصغير فيها. والولد التقي فيك يُحاسب هذا الشاب المتمرد. . و. .**

ـ ما شاء الله. . تبارك الله. . أصبحت ناقداً، ومحللاً نفسياً أيضاً!

*** لا تسخر مني.. أنا صديقك..**

ـ ثم من الذي قال لك إن هذه الأوراق مكتوبة لكي تصل إلى «القراء» حتى أهتم لردة فعلهم تجاهها؟!

*** يااااه.. لا تجعلني أشعر بالغثيان!.. لا تقل لي أنك مثل أغلب الكتاب والشعراء الذين يكذبون في حواراتهم ويقولون إنهم يكتبون لأنفسهم!**

طالما أن هناك «مكتوب» لا بد أن يكون هناك «قاريء» تهتم له ولردة فعله تجاه ما تكتب.. وإلا ما فائدة الكتابة؟!

ـ لا شأن لك!

*** لا تقل لي إنك تكتب بطلب من الطبيب، وأنه سيكون قارئك الوحيد؟!**

ـ قلت لك لا شأن لك

*** غضبت؟.. حسناً.. أوراقك هذه عظيمة، وأنت كاتب عظيم!**

يجب أن يكون «ماركيز» بواباً على باب مكتبك، و «نجيب محفوظ» المراسل الذي يُقدم لك الشاي، و «دان براون» مدير أعمالك التي ستترجم لكل اللغات العالمية.

نسيت.. أنت بحاجة لسكرتيرة.. هل تكفيك «أحلام مستغانمي» أم تفضلها أوربية؟!

ـ تسخر.. أنت ووجهك!

*** لا!.. فقط أنت المسموح لك أن تسخر وتصفني بأنني ناقد ومحلل نفسي وأشياء أخرى!**

ـ خلاص.. سأشطب من نهاية هذه الورقة «يا ليتني أعود عنباً» حتى ترضى، وأضيف: وامتدت يدي إلى فخذها، وارتفعت إلى..

*** شطبت أو لم تشطب فأنت لم، ولن تعود عنباً، ومشكلتك أنك لم ولن تصبح نبيذاً ولا زبيباً حتى.. أنت في منطقة رابعة.. في شكل رابع لا شكل له!**

ـ غضبت؟

*** لا.. ولكنني تعبت من الجدال.. أريد أن أنام..**

ـ أول مرة تتعب قبلي؟!

*** يبدو أنك أصبحت ثرثاراً ومزعجاً أكثر مني.. هيّا لننام.**

ورقة رقم «١٧»

في عام ١٩٩١م بلغت الثالثة عشرة. وأذكر أنه عندما يسألني أحدهم عن عمري أقول له: أربعة عشر ونصف!

*** لست وحدك، كل أطفال العالم بهذا الشكل، ويكذبون نفس الكذبة!**

في عام ١٩٩١م دخلت إلى المدرسة المتوسطة. وقتها، وبعد أن خرجت من ابتدائية الأطفال وانتقلت إلى متوسطة الرجال، شعرت أنني أصبحت رجلاً.. ولا أدري وقتها لماذا كنت مستعجلاً للتخلص من طفولتي؟

في عام ١٩٩١م عرفت «الشهوة» واكتشفت بعض الطرق السريّة التي تؤدي إلى اثارتها.

*** من كانت بطلتك المفضلة في لحظاتك السريّة.. يا مجرم؟!**

ـ «ميرفت أمين».. ولاحقاً «جوليا روبرتس»، وتلك الأخيرة كم من ليلة قلبتها على سريري الصغير وبكافة الأشكال، وأحياناً أجعلها تلبس البرقع والعباءة وأجعلها تتغنج لي بلهجة شمالية!

كان عاماً عجيباً: بح فيه صوتي، وودعت طفولتي على عجل، وصرت أرى العالم بشكل مختلف. أما الكتب التي يجلبها لنا «مصطفى النجيدات» فكانت عالماً آخر، كانت أعاصير تعصف برأسي الصغير. . تأخذني إلى المدن الغريبة والأفكار الغريبة.

في نهايات ذلك العام، صرت أحاول أن أتصرف مثل الكبار. بل انني بدأت رسمياً بارتداء «العقال» على الشماغ الاحمر، مسكين شماغي الأحمر. . كنتُ أسكبُ عليه يومياً طناً من «النشا» لزوم التشخيص طبعاً. . !

ولم أكتفِ بهذا. . بل صرت أقلد أبي وصار لي «شبة» وجلسة كل مساء يجتمع فيها أصدقائي من بني عمومتي، نتسامر بالأحاديث الساذجة والبريئة وأقدم لهم خلالها الشاي والقهوة والتمر كما يفعل والدي في مجلسه كل صباح ومساء.

منذ سنوات، وقبل أن أولد. . قبل بيوت الاسمنت، كانت «شبة» الصباح في بيت الوطبان. منذ الصباح الباكر، كان رجال قبيلتنا يأتون، وأحياناً بعضهم من قبائل أخرى، إلى مجلس والدي ليتسامرون، وأغلب أحاديثهم عن «الحلال» من الابل والغنم ومواقع المطر وأخباره، وأيام الوسم. أو أنهم يتذكرون ما مضى من حكايات ويرددون «سوالف» غزوات آبائهم وأجدادهم، وبعض ما يحفظونه من الشعر.

بعضهم كان يأتي مبكراً بعد صلاة الفجر، وبعضهم يأتي متأخراً عند الضحى، ولا يخرجون إلا بعد أن يعلن صوت المؤذن دخول وقت صلاة الظهر.

كان يقدم لهم والدي التمر والقهوة والشاي، وفي الأوقات التي

تدر فيها أغنامه كان يقدم لهم اللبن والزبد الذي تصنعه والدتي بمساعدة «بدرية» زوجة عباس الدليمي.

لم يُمانع والدي حضور كل هؤلاء الأولاد الصغار إلى مجلسه كل مساء، وذلك لسببين، فقد كان والدي رحمه الله قد تجاوز الستين، وينام مبكراً، ويريد قبل أن ينام أن يطمئن على أنني بجانبه، وأنني لن أتسكع في الشوارع بحثاً عن رفاقي.. فليأت كل الرفاق هنا. هذا الأول أما السبب الثاني فأظن أنه كان مستعجلاً أكثر مني لكي أصبح «رجلاً» بأسرع وقت ممكن.

أما أمي، رحمها الله، فكنت أرى الفرح في عينيها وهي تصنع لي الشاي والقهوة لأقدمهما إلى ضيوفي.. كانت تنظر لي بزهو، وكم تبهجها نبرة البلوغ في صوتي والتي تخبرها أنني اصبحت رجلاً. تمد يدها لرأسي وتأخذ «العقال» الأسود وتقوم بتعديله على الشماغ لكي يتزن على رأسي ولايقع.. وأعود أنا لأجعله مائلاً حتى يكاد أن يلامس حاجبي الأيمن، وأقول لها بمرح: هكذا يلبس «الشمري» عقاله!

ورغم أن أحاديثنا، أنا وضيوفي الصغار، تختلف كثيراً عن أحاديث الكبار، وتدخل إلى مناطق جديدة لا يعرفونها، وبعضها لم يسمعوا بها.. إلا أنها رغم هذا كانت ساذجة وبريئة.. كنّا نتوهم أننا نعرف أكثر مما يعرفه الكبار، وأننا نعي ما يحدث حولنا.

*** من الجهل أن تظن أنك تعرف!**

أحيانا كنا نسخر من الكبار وأحاديثهم، وأحياناً كان الحديث يدور حول المدرسة والمدرسين وبعض الخناقات التي تحدث بيننا وبين بعض الطلاب. وقليلاً ما نتفذلك على بعضنا البعض ويستعرض كل منا ثقافته عبر الكتب القليلة التي قرأها. وكنت أشعر وقتها أنني الأكثر ثقافة بينهم.. لهذا أكون سيّد الحديث والجلسة.

أتذكر أنني كنت أبتكر لهم بعض الألعاب، والتي تكون على شكل سؤال وجواب، ولا أدري لماذا كنت أصر وقتها على أن أسجل الأسئلة والإجابات المختلفة في دفتر صغير - احتفظت به لسنوات طويلة - وكنت أشارك بالإجابة معهم.. وأقول لهم: بعد سنوات سنرى إجاباتنا ونضحك عليها.

الآن أتذكر إجابتين لأحد الأسئلة التي كنت أطرحها عليهم، والسؤال هو:

ماذا ستكون في المستقبل؟

الإجابة الأولى كانت لـ«فرحان» وما أزال أذكرها لطرافتها.

قال: أريد أن أصبح سائق شاحنة!..

صحنا في وجهه، ونحن نضحك: لماذا يا «فرحان»؟

قال: لكي أستطيع أن أسافر حول العالم.

أما الإجابة الثانية فكانت لـ«مرضي» المتفوق في دراسته والذي فاجأنا بإجابته لأنه قال إنه يريد أن يصبح رائد فضاء!.. ويا لسخرية الأيام منّا ومن بعض أحلامنا. بعد عامين توفى أبو «مرضي» ولم يكمل دراسته، وذهب بشهادته المتوسطة يبحث عن العمل في «حفر الباطن» وتم قبوله جندياً في الجيش.

آخر مرة رأيت فيها «مرضي»، كانت قبل سنتين في إحدى زياراتي لرفحاء، كان بالكاد يسيطر على فمه الذي يصطك بصوت مسموع، وكأن شفتيه قد تم سحبهما لداخل فمه، وبالكاد يسيطر على لعابه حتى لا يسيل.

كانت عيناه زائغتين وحزينتين.. رغم ابتهاجه بلقائي.

الجميع يعلم أن «مرضي» - ومنذ سنوات - صار مدمناً على حبوب «الكبتاجون».

*** ألا تخرج للشارع؟!**

ـ لم أفهم!

*** أقصد.. إنني الآن أفهم وضعك الأمني، ولكن.. قبل وضعك المعقد هذا.. لم أرَ الشارع في أوراقك.. لم أشم رائحة الجدران، ولم أسمع أصوات الناس..**

ـ الأمر بسيط..

*** كيف؟**

ـ لأنه لا يوجد أصلاً «شارع سعودي»!..

في شوارعنا تجد كل شوارع الدنيا ولا تجد الشارع السعودي.

*** لم أفهم!**

ـ في القاهرة - مثلاً - تجد الشارع المصري: البائع.. الضحكات.. اللهجة.. الملامح.. رائحة الجدران والناس، ويتكرر الأمر في أغلب مدن العالم.. هنا تجد الشارع: بلغات وأشكال وروائح مختلفة.. يخيّل لك أحياناً أنه شارع آسيوي.. حتى قصائدنا لم تنزل للشارع.. لهذا تجد أن أغلبها مكتوب في غرف النوم!

*** يبدو أنني سأتفق معك..**

ـ شكراً.

* **على هذا، أكبر كذبة في العالم هي شيء يسمى «الرواية السعودية» ولا يوجد أكذب منها سوى «المسرح السعودي»!..**

كيف يكون لدينا مسرح بلا شارع ولا نساء؟!

ـ يبدو أنني سأتفق معك أيضاً..

* **شكراً..**

تعرف؟.. الآن عرفت ما الذي جعل «العصفورية» لغازي القصيبي هي أهم وأجمل رواية سعودية. لأن أحداثها حدثت في لبنان ولم تحدث في السعودية!

ـ ولكن كل تفاصيلها كانت ضمن حوار طويل بين مريض وطبيب في مستشفى المجانين. من الممكن أن تكون في أي مستشفى مجانين في أي مدينة في العالم.. ثم إنها لم تخرج للشارع!

* **لأنه سعودي، ولديه عقدة من الشارع المحلي!.. حتى روايته الأولى «شقة الحريّة» حدثت كل تفاصيلها في الشارع المصري لطالب سعودي مبتعث هناك.**

ـ و «عبدالرحمن منيف»؟

* **ما به؟.. لا تقل لي إنه «سعودي»!.. هو نفسه يرفض هذا. هو ابن عمّان ودمشق وبغداد وبيروت، ولم يكن يوماً ابن الرياض.**

دعنا نتوقف هنا.. فأنا مبتهج لأننا وجدنا مانتفق عليه.

ـ أتفق معك!!

الورقة رقم «١٨»

ما هو «الشر». . وما هو «الخير»؟

هل هناك «شر» مطلق و «خير» مطلق؟. . أم أن كل شر فيه شيء من الخير وكل خير فيه شيء من الشر؟

«الجماعة» ترى أن «الجهاز» شر، وأنه من الخير قتل منسوبيه. و «الجهاز» يرى أن «الجماعة» شر، ولا بد من القضاء عليها. ولا أظن أن هناك جماعة أو مؤسسة أو مذهب أو فكرة إلا وترى نفسها بأنها خيّرة.

طوال التاريخ:

المصلحون، والفلاسفة، والمفكرون يقومون بانتاج الأفكار، والأتباع يقومون بانتاج الحروب، لأن كل فكرة إنسانية تدّعي أنها خيّرة لا بد لها من إنتاج الخصم الشرير، وكل من لا يؤمن بها سيصبح بنظرها شريراً. وهذا الخصم الشرير يرى أن الفكرة «الخيّرة» هي فكرة شريرة بالأصل. . لأنها تريد القضاء عليه وعلى مصالحه.

لا يوجد «خير» واحد، ولا «شر» واحد متفق عليه.

من الذي قال إن الخير ينتصر على الشر؟!

هذه كذبة تروجها القصص الخيالية، وبعض الأفلام السينمائية التي تنتهي النهاية التي يحبها الجمهور.

الحقيقة أن «الشر» ذكي وقوي ويعرف كيف يأخذ ما يريد. أما «الخير» فيخيّل لي أنه غبي ويخاف من ظله.. أو على الأقل هو «شيء» مسالم، ولا يُحب الدخول في النزاعات.

يبدو لي أننا بحاجة إلى أن نصدق ما تقوله القصص الخيالية عن انتصار الخيرين على الأشرار.. وإلا لتحوّل هذا العالم إلى مكان لايُطاق.

ما أكثر الأكاذيب التي يبتكرها الإنسان.. فقط لكي يشعر أن الحياة رائعة وعادلة.

الخير، والحق، والجمال.. كم من فكرة ابتكرها الإنسان وهو ينشد هذه الأشياء، ولكنها في النهاية أنتجت الحروب وحصدت ملايين الأرواح.. لهذا آمنت أن:

كل فكرة رائعة.. هي كذبة رائعة..

ابتكرها إنسان موهوب، وصدقها ملايين الحمقى!

*** يبدو أنني سأتفق معك مجدداً، فكلما ابتعد الناس عن الأفكار الكبرى أصبحت حياتهم أكثر بساطة وصارت علاقاتهم مع الآخرين أكثر تسامحاً..**

يبدو أن كل فكرة عظيمة تصنع مبغضيها وأعداءها بنفس البراعة التي تجمع حولها مريديها وأنصارها!

الورقة رقم «١٩»

في سنوات القراءة الأولى، سيطر عليّ حلم يقظة ساذج، كنت أتخليه دائماً. كنت أتشبث به وكأن تشبثي به وترديدي له وتخيله المستمر سيجعله يتحقق!

كان مطار «رفحاء» الصغير لا يستقبل سوى رحلة واحدة كل أسبوع، الرياض - رفحاء - الرياض.

كنت أتخيّل أن إحدى الطائرات العملاقة، وفي رحلتها الدولية من دمشق إلى القاهرة يصيبها خلل ما وهي في سماء رفحاء (رغم أن طريق الرحلة لايمر في سماواتنا!) فتجد نفسها مضطرة إلى الهبوط.. ولا تجد سوى مطار «رفحاء» لتهبط فيه.

وبالمصادفة - حسب ما يخططه خيالي الساذج - يكون بين ركاب هذه الطائرة الشاعر «مظفر النواب» والروائي «عبدالرحمن منيف». وطبعا الأحلام الساذجة تهيئ لنفسها كل الظروف لكي تتحقق!

أكون وقتها في المطار، وأنا الوحيد بين الجموع من يعرف «مظفر» و «منيف» رغم أنني في ذلك الوقت لم أرَ أي صورة لعبد الرحمن منيف!.. وأنا الوحيد الذي تقدمت بدعوتهم لمرافقتي إلى المنزل.. وطبعاً، وبكل بساطة، قبل الإثنان الدعوة.

كنت أتخيّل نفسي وأنا أقدم إليهم القهوة، وأتخيّل كم أتباهى

أمام «مظفر» بترديد ما أحفظه من قصائد أهل الجنوب العراقي التي كان «عباس الدليمي» يرددها عليّ بحنين. وكنت سأطلبه أن يقرأ عليّ قصيدته «للريل وحمد» وسأرددها معه لكي يعرف أنني أحفظها عن ظهر قلب.

أما «عبدالرحمن منيف» فسوف يخبرني عن كل أسرار رواية «مدن الملح» ويخبرني بالأسماء الحقيقية لأبطالها، وسوف يهمس بأذني: أن «متعب الهذال» ما يزال على قيد الحياة، ولكنه يتجوّل في ربوع «نجد» متنكراً!

أعرف أنها أحلام غبيّة!

الآن، أتمنى أن يكون لديّ حلم.. أي حلم، ولا يهم هل هو ساذج أم ذكي.

ما أسوأ أن تكون بلا أحلام!

*** إذا أردت أن يسخر منك الناس فأخبرهم بأحلامك!**

لهذا - يا صديقي - لا تـُخبر أحداً عن أحلامك، ولا تتنازل عنها بسهولة، مهما كانت صعبة ومستحيلة.

الورقة رقم «٢٠»

لـ «الجهاز» ألعابه السريّة والتي يتقنها بمهارة.

ما أن يرتفع صوت اليمين حتى يفتح الباب لأهل اليسار لنقد اليمين بكل حريّة ودون حسيب ورقيب.. حتى وإن أدّعى غير هذا. وفي الوقت نفسه يقوم الجهاز بزرع أفراده بينهم، فقط ليقوموا بتشويه هذا اليمين، ومن جهة أخرى لكشف أسراره.

والعكس صحيح.. ما أن يبدأ اليسار بتسيّد المشهد إلا ويفتح الباب لليمين ليمارس كل أنواع الهجوم والإقصاء لهذا اليسار. وأيضاً هناك أفراد آخرون يُزرعون وبعناية في هذا اليسار، ليتم تشويهه أمام العامة، ولكشف ما وراءه من أسرار.

«الجهاز» يمتلك العصا، ويمسكها بمهارة من الوسط. بل إنه يستطيع أن يحمل العصا الطويلة ويمشي على حبل دقيق مثل حبل السيرك، وبمهارة لاعب السيرك.. دون أن يسقط.

عصا «الجهاز» أحياناً طويلة مثل عصا لاعب السيرك، وفي أحيان أخرى تكون صغيرة مثل عصا المايسترو الذي يقود الفرقة الموسيقية لتعزف ما يريده من ألحان، وفي بعض الحالات تتحوّل إلى عصا غليظة لترتطم على رأس من يخرج عن الدور.

«الجهاز» سيّد المشهد.. ويخيّل لي أن الأغلبية من اليمين واليسار ليسوا سوى ممثلين يقومون بأدوارهم حسب السيناريو المكتوب، أو أنهم ليسوا سوى مجموعة من الحمقى يمثلون وهم لا يعلمون أنهم يمثلون!

وكل فترة، تختلف الأسماء والعناوين، حسب اختلاف المراحل:

مرة يمين ويسار، ومرة تقليديين ومحافظين وحداثيين ومتحررين، ومرة إسلاميين وليبراليين. وهناك من لديه الإستعداد التام للقفز من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار حسب حسابات الأرباح والخسائر و.. ضرورات المرحلة!!

أحياناً أشعر أنني أحد هؤلاء الحمقى.. حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها هذا السطر.. أشعر أنني أحمق وغبي!.. بل إنني أتسائل أحياناً:

«هل ما أكتبه الآن هو تكملة للمشهد.. أم أنه خروج عن النص»؟!..

فـ«الجهاز» نقلني من مشهد إلى مشهد نقيض.

أشعر انني لست سوى بيدق على رقعة شطرنج، وأصابع «الجهاز» تنقلني من مربع إلى مربع إلى مربع.. ولا أدري إلى أين ستكون النقلة القادمة!

ومن المناطق التي يلعب فيها «الجهاز» الشبكة العنكبوتية: الإنترنت. وهي من ملاعبه المفضلة، ففيها يزرع الإشاعة التي يريد، ويوجه الرأي العام تجاه حدث ما دون أن يشعر هذا «الرأي العام»..

وهناك يتم اصطياد الخصوم بسهولة.

من هم خارج «الجهاز» يظنون أحياناً أن البلد فوضى. والذين داخله، ويعرفون أسراره، يرون أنها «فوضى منظمة» تديرها أيدي ماهرة، تعرف متى ترخي الحبل، وتعرف متى تشده، وتعرف الوقت الذي تحوّل فيه هذا الحبل إلى «حبل مشنقة»!

هنالك وجوه إعلامية معروفة يتم دعمها من «الجهاز». وهناك مواقع إلكترونية شهيرة تجذب مئات الآلاف من الزوار يومياً يديرها «الجهاز» وأفراده، ومن خلالها يهيأ الجو العام لاستقبال أي حدث.. وأحياناً يتم جس النبض الشعبي تجاهه قبل وقوعه!

أربكني «الجهاز» في الأشهر الأولى من عملي فيه.

اطلعت على بعض قوائم المتعاونين معنا، كانت تضم الإعلامي الشهير، والمفكر الكبير، والداعية المعروف. الذي أذهلني هو وجود اسم «ع. ع» ضمن القوائم.. هذا الرجل - المعروف بوسطيته - يحظى بثقة كل التيارات بالبلد.

وطبعاً كان هناك الداعية الكبير والذي يُهاجم يومياً على مواقع الإنترنت لشبهة انتمائه لـ«الجماعة» وأنه هو أحد الذين صنعوها بفتاواه وخطبه المتطرفة. كنا نقوم كل شهر بتحويل مكافآته على حسابه البنكي.. كانت تأتيه كحوالة عادية وشخصية كل شهر باسم فرد من أفراد «الجهاز»، ولا نقوم بإرسالها بتوقيت ثابت وهذا الإجراء تم حسب طلبه!

أربكتني الأسرار التي عرفتها، كدتُ بسببها أشك بكل شيء في البلد. بل إن سنوات العمل في «الجهاز» جعلتني اؤمن أن الناس في بلادي ثلاثة أصناف:

ـ صنف يُمثل، ويقوم بأداء دوره بمهارة، ولا يهمه شكل الدور وموقعه طالما أنه يحصل على مكافآته مقابل هذا التمثيل.

ـ وصنف يُمثل.. ولا يعلم أنه يمثل!

ـ وصنف يحلم أن يمثل، ويحصل على أي دور، وهم الكومبارس. ولهم اسم آخر وهو: الأغلبية الشعبية.

كل واحد منا له دوره الذي يقوم به.. حتى الذين يظنون أنهم ليسوا سوى متفرجين.. و «الجهاز» وحده له حق كتابة ما يشاء من السيناريوهات!

*** تصدق؟.. لاحظت أن البدو، وأهل القرى، والمهمشين في كل مكان لا يعشقون من المهن شيئا أكثر من العسكرية.. يبدو لأنها تمنحهم سلطة ما**

ـ لا أعرف.. بالنسبة لي تمنيت لو أنني امتهنت التدريس.. هذه المهنة العظيمة!

*** «هذه المهنة العظيمة»!.. دع عنك المثاليات.. التدريس وعلى مستوى العالم أسوأ مهنة.. ولكن.. تعال.. أريد أن أسألك..**

ـ تفضّل

*** ما الذي تفعلونه في «الجهاز» ولا نعرفه؟**

ـ أشياء كثيرة.. أكثر وأبعد ممّا تتخيّل. أحياناً ندخل في تفاصيل التفاصيل.

*** مثل ماذا؟... أعطني أمثلة.**

ـ مثلاً هناك أكاديمون كبار لا عمل لهم سوى متابعة البرامج الحوارية الشهيرة في المحطات التلفزيونية، ويقومون بكتابة الأسئلة، ليطرحها بدورهم بعض الموظفين الصغار على ضيوف هذه البرامج وعلى الهواء مباشرة..

*** لماذا؟!**

ـ لكي نحدد مسار الحوار ونوجهه إلى الجهة التي نريدها، ولكي نعرف توجهات هذا الضيف.. خاصة إذا كان يتحدث عن الشأن المحلي، وأحياناً لنقدم وجهة نظرنا النقيضة له.. وهكذا.

*** يا إلهي.. أنتم مخيفون.**

الورقة رقم «٢١»

قائمة الـ ١٩

١ ـ تركي ناصر مشعل الدندني
٢ ـ علي عبد الرحمن الفقعسي الغامدي
٣ ـ خالد محمد مسلم الجهني
٤ ـ صالح محمد عوض الله العوفي
٥ ـ عبدالعزيز عيسى عبدالمحسن المقرن
٦ ـ أبو معاذ الطائي
٧ ـ عبدالكريم محمد جبران اليازجي
٨ ـ هاني سعيد أحمد عبدالكريم الغامدي
٩ ـ محمد عثمان عبدالله الوليدي الشهري
١٠ ـ راكان محسن محمد الصيخان
١١ ـ يوسف صالح فهد العييري
١٢ ـ عثمان هادي مقبول العمري
١٣ ـ بندر عبدالرحمن سالم الغامدي
١٤ ـ أحمد ناصر عبد الرحمن الدخيل
١٥ ـ فيصل عبدالرحمن عبدالله الدخيل

١٦ ـ جبران على حكمي خبراني

١٧ ـ عبدالرحمن منصور جباره

١٨ ـ خالد علي علي حاج

١٩ ـ سلطان جبران سلطان القحطاني

الورقة رقم «٢٢»

عندما أذكر خط الشمال «الطريق الدولي» لا بد أن أتذكر خط الأنابيب «التابلاين». لم يكن «الطريق» مجرد طريق، ولم يكن «التابلاين» مجرد آلة معدنية ضخمة تضخ النفط وتنقله إلى العالم الآخر..

كانا: الذاكرة، والحكايات المرة والحلوة.

كأنهما عاشقان يمشي كل منهما بمحاذاة الآخر لا يريد أن ينفصل عنه.. رغم أنهما ينفصلان عن بعضهما البعض بعد محطة «طريف»: «التابلاين» يأخذ اليمين متجهاً إلى «سوريا» و الطريق الدولي يكمل دربه جهة «الأردن».

أحاول أن أعرف أيهما ولد قبل الآخر؟.. وأكتشف أنهما «توأمان».

عبر هذا الطريق الدولي رحل الذين أحبهم.. «وبقيتُ مثل السيف فردا».

ومن هنا أتت الكثير من الوجوه الغريبة.

وهناك.. أغلقت تلك الجهة منه لتتحوّل إلى مدرج لهبوط الطائرات الأمريكية!

ولم يكن البدو يعتمدون على لوحات الطريق الدولي.. كانوا

يعتمدون أكثر على خط الانابيب «التابلاين» لوصف ما يريدون وصفه من الاماكن، ولحساب ما يحتاجون معرفته من المسافات. يعرفون تعرجاته وانحناءاته مثلما يعرفون الصحراء ودروبها.

أما بالنسبة لجيلي فـ«التابلاين» يدخل في كل تفاصيل حكاياتنا وذكرياتنا، يخيّل لي أحيانا أنه كان يشعر بنا، ويشاركنا ألعابنا الطفولية!

عندما نتسابق كان هو خط النهاية. وعندما نختفي عن بعضنا البعض كان هو مكان الإختفاء المفضل، وعندما نلعب الكرة كان هو «المرمى». . وأحيانا كنا نمتطيه كحصان أسود. ولم يكن يشتكي، ولا يمل من ألعابنا وضجيجنا.

وعندما كبرنا قليلاً، صار «الطريق الدولي» وبجانبه شقيقه وتوأمه خط الأنابيب العملاق «التابلاين» هو المكان المفضل لتسكعنا أنا وصديقي «سليمان العنزي». . وتحديداً جهة موقف الشاحنات. . يخيّل لنا وقتها عندما نرى لوحات الشاحنات الغريبة والأجنبية ووجوه سائقيها. . أننا نرى العالم. . هناك تعرفنا على التركي «علي صفوت». . وهناك كنا ننتظر الأشياء المدهشة التي يهربها لنا «مصطفي النجيدات». . وهناك وعلى الجانب الأيمن من الطريق الدولي - جهة الصحراء - عرفت «جميلة». .

هل هناك وجه شبه بين «جميلة» وسيدة القلب «تاء»؟

يخيّل لي أن كل أمرأة نحبها هي تكرار لأول أمرأة أحببناها، أو هو بحث فاشل عن أشباهها بين النساء. . لهذا لا يوجد شيء اسمه «الحب الأول» بل هو «أول الحب». . وثاني الحب. . وثالثه. .

وآخره. هو حب واحد لامرأة واحدة يتكرر بأشكال مختلفة. و «جميلة» كانت: أول الحب..

كانت طفلة أينعت ثمار جسدها مبكراً، وكنت ولداً يظن أنه رجلٌ يعرف كيف يقطف الثمار المحرمة. معها اكتشفت أن لأجساد النساء رائحة لا يضاهيها أي عطر في هذا العالم.. بل إن أفخم وأفخر أنواع العطور تحاول أن تصل إليه ولا تستطيع. جسدها الغض دلني على جسدي، وجعلني أكتشفه أكثر.. منحتني القبلة الأولى والمغامرة الأولى والرعشة الأولى.

في إحدى جولاتنا - أنا وسليمان - على «الطريق الدولي»، وفي طريقنا إلى موقف الشاحنات شاهدت خيمتهم الصغيرة.. لم تكن بالأمس في هذا المكان..

في اليوم التالي شاهدتها من بعيد، وبطلب مني، صار طريقنا يميل إلى جهة الخيمة. صار لهذا الطريق طعم مختلف.. ولكنني ولأيام كنت أكتفي بالنظر إليها.. وكانت هي تفعل مثلما أفعل. وذات يوم وعند غياب الشمس، وفي طريق العودة، ووالدها مشغول بتسليم «دلال القهوة» لأحدهم بعد أن قام بتنظيفها.. اقتربت هي وسألتني عن اسمي.. ولم أبتعد إلا بعد أن تواعدنا على أن نلتقي غداً مساءً، وقريبا من الخيمة..

في الليلة التالية كنت أتمدد بجانبها على الرمل..

دقائق قليلة والأنهار تتفجرمن جسدي..

ذهبت إليها وأنا أرتجف من الخوف، وعدت منها وأنا أرتجف من اللذة.

كل اللقاء لم يتجاوز العشر دقائق.. ولا أدري لحظتها لماذا شعرت بأنني أصبحت رجلاً حقيقياً!

طبعا، كان «سليمان العنزي» وبمسافة قريبة، يختبيء وراء صخرة، ويحمل معه عصاه الغليظة.. سلاحه الوحيد الذي جلبه لحمايتي إذا ما حدث شيء طاريء.

*** لا أتفق معك في حديثك عن الحب.. تصفه بطريقة رومانسية ساذجة!**

ـ كيف؟

*** الحقيقة أن كل شخص في هذا العالم يتخيّل حبه الأول حباً أسطورياً لا شبيه له، والأكيد أن الحب الأول دائما ما يكون ساذجاً وغبياً!**

ـ لا أتفق معك..

*** أعلم أنك لا تتفق معي (أو تدّعي: أنك لا تتفق معي! لأنك تدافع عن نفسك بشكل ما) فأنت ترى أن الحب الأول هو أول الحب ويتكرر دائماً بأشكال مختلفة، وأنا أرى أن آخر حب هو: أول حب.**

ـ لم أفهم!

*** أقصد أنه دائماً هناك المرأة / الحلم.. نحلم بالوصول إليها، وكل حب جديد هو محاولة للاقتراب منها والحصول عليها.. وآخر حب هو النموذج الأقرب إليها.. هو تراكم للعلاقات السابقة التي جعلتك تعرف النساء جيداً وتحدد خياراتك..**

وبالطبع كل الرجال يموتون وهم في طريقهم إلى هذه المرأة / الحلم!..

ثم قل لي: لو لم ترحل «جميلة» هل كنت مستعداً لكي تستمر

العلاقة بينكما، وتنتهي بالنهاية المفترضة، وهي الزواج، كما يحدث في كل العالم؟!

ـ اسمع.. أنت تفترض البدايات وتريد مني أن أقدم لك النهايات على طبق من منطق وهذا ليس بمنطق!.. أنا لم أحب «جميلة».. في ذلك الوقت لم أكن أعرف ما هو الحب.. وأنا هنا أتذكرها مثلما أتذكر بقية الحكايات والأشياء في مرحلة الطفولة..

*** دع عنك هذا الكلام.. أنت تهرب من الإجابة.. وأنا لا ألومك، فأنا وأنت نعرف الإجابة: كيف لرجل مثلك ينتمي لقبيلة معروفة وأصيلة أن يرتبط بفتاة تنتمي إلى «أناس» لا وزن لهم بين الناس والقبائل؟.. مستحيل!**

صدّقني لا ألومك، ولكنني سألومك إذا قمت بترديد مقولات المثقفين والمفكرين الذين يرفضون مثل هذه العادات والقيم المتوارثة ويكتفون بالتنظير والصراخ ويريدون من الآخرين أن يطبقوا هذه النظريات على أرض الواقع... حتى سيدة قلبك «تاء»..

ـ ما بها؟

*** لو قرّرت أن تنفصل عن زوجها لكي ترتبط بك سترفض..**

ـ لماذا؟

*** أنت تعرف الإجابة.. فرغم أنها تنتمي لعائلة كبيرة ومهمة في البلد، والكثير غيرك ممن هم أهم منك يحلمون بالإرتباط بها، إلا أنك أنت سترفض أن تكون هذه المرأة زوجتك وأماً لأولادك..**

ـ والسبب؟

*** تسألني وأنت تعرف الإجابة لكنك تتحاشاها.. سأقول لك ما تعرفه، وما تؤمن به: البدوي لا يتزوج امرأة تمنحه قـُبلة خارج**

مؤسسة الزواج فكيف بامرأة تمنحه جسدها بأكمله؟!..

«جميلة».. «تاء».. وغيرهما، لسن سوى عشيقات.. لعلك أحببتهن بطريقتك.. ولكن «الزوجة» ستكون من خارج هذه القائمة، وبمواصفات أخرى مختلفة.

ـ لن أجادلك.. فأنت تسأل السؤال وتُجيب عليه..

* لن تجادلني لأنك في قرارة نفسك تؤمن بكل ما أقوله، وليست لديك إجابة مختلفة.. ولو أردتَ سأصدمك أكثر..

ـ كيف؟

* أحياناً أرى أن «الحب» كائن خرافي لا وجود له. حتى أشهر العـشاق من «قيس وليلى» و «روميو وجولييت» إلى بقية أشباههم في الهند والصين وبقية الحضارات، ستجد نفس الحكاية ونفس البؤس ونفس النهاية التعيسة.. كل هؤلاء العشاق لم يتزوجوا ولم يعيشوا «بثبات ونبات.. ويخلفوا صبيان وبنات».. يبدوا أن «الحب» لا يوجد سوى في الحكايات الخيالية والأفلام وخيالات الشعراء المريضة..

على فكرة: الشعراء هم أكثر الناس حرماناً منه لهذا هم أكثر الناس تغنياً به!.. لكن هذا موضوع آخر، وأنا أحب أن تسترسل في حديثك عن «طريقك الدولي».. أكمل من فضلك.

وعلى هذا «الطريق الدولي» وبعد عام ذهب «سليمان العنزي» ولم يعد.

ذهب دون أن يودعني. كان مع والده في طريقهم إلى «عرعر» لزيارة أقاربهم هناك.. يقولون إن الإطار الأمامي انفجر..

توفى «سليمان» ووالده واثنين من إخوته الصغار.

لازلتُ أذكر دموعي وهي تجري حزناً على صديقي، بل حزناً عليّ بعد رحيله.

كان سليمان وجهة القلب والروح، كان صديق طفولتي وحبيبي.

رحل، «وبقيتُ مثل السيف فردا».

أما «جميلة» فمثلما أتت خيمتهم فجأة، بعد شهر اختفت فجأة.

كرهت «الطريق الدولي» وكرهت «التابلاين».. ومع هذا لا أدري لماذا شعرت بالحزن، وأنا أفتش عن أخبار «رفحاء» منذ أيام في الصفحات المحلية، عندما قرأت هذا الخبر:

«شركة أرامكو تفكـرّ بتفكيك المباني والتابلاين وبيعها لبعض الشركات الأجنبية».

الورقة رقم «٢٣» (*)

(*) كانت فارغة تماماً، لا يوجد بها شيء سوى الرقم (٢٣) في أعلى الصفحة. أرجو نشرها كما هي. (السيدة « تاء »).

ورقة رقم «٢٤»

لايمكن أن أذهب إلى «رفحاء» - حتى وإن كانت زيارة عابرة - إلا وأمر عليهما. «عباس شنان الدليمي»، وعبدتنا الرائعة «فريحة العتيق» التي تجاوزت الثمانين من عمرها وما تزال تحتفظ بذاكرة مذهلة.

هل قلت «عبدتنا»؟.. نحن لا نردد هذه الكلمة بيننا، ولا نتعامل مع «عبيدنا» على أنهم عبيد.. هم إخوتنا.

«عباس» يجبرني على الذهاب إليه في منزله، وتناول الغداء أو العشاء في ضيافته، بعد أن يقسم علي بأغلظ الأيمان، ومهما قدمتُ من الأعذار لـ«أبي شنان» إلا أنه في النهاية يحصل على موافقتي. حتى أنني عندما كنت في «الرياض» - وقبل أن تتغيّر حياتي بعد التحاقي بـ«الجهاز» - عندما أفكر بالذهاب إلى «رفحاء» إما في موسم الربيع أو لحضور زواج أحد الأقارب أو حتى للعزاء فيمن يموت منهم، كنت أضع جدولاً، وأقسم وقتي لكي أرضي الجميع وأحضر كافة المناسبات، ولا بد أن يكون في هذا الجدول يوم أتناول فيه العشاء في منزل «عباس» ولا يكون العشاء عادياً فهو يتكون من خروف سمين ورز «التمن» والذي تجيد طبخه «أم شنان» زوجته «بدرية»، وطبعاً يدعو كل بني عمومتي الذين حول منزله لحضور

العشاء. فهم بالنسبة إليه طالما أنهم أبناء عمومة «سلطان الوطبان» فهم أحلافه أيضاً.. وهم أيضا يتعاملون مع الأمر بهذا الشكل فحليف «الوطبان» هو حليفهم وعليهم حمايته والتعامل معه على أنه واحد منهم، وأي سوء يتعرض له «عباس» من أي أحد سيجعله هذا خصماً للقبيلة كلها.

طبعاً سيكون من بين المدعوين للعشاء - كالعادة - بعض تجار «النجف»، هؤلاء الذين يعملون ومنذ سنوات في سوق رفحاء، وتحديداً في جهة منه تُسمى «سوق العراقيين».. وحتى هذا اليوم ما يزال السوق يحمل هذا الإسم.

الشمال متسامح، و «رفحاء» هي الأكثر تسامحاً..

لم تكن «رفحاء» تسأل القادمين إليها، بحثاً عن الرزق، عن أصولهم أو مذاهبهم.

قلت مرة لأحد أصدقائي في «الرياض» إن «رفحاء» متسامحة.

قال لي: بل هي جاهلة!

قلت له: ما أجمل الجهل المتسامح، وما أسوأ المعرفة المتطرفة.

لعباس ثلاثة أولاد، بعد «فطيّم» ابنته الكبرى التي ولدت في العراق. أما الأولاد الثلاثة فجميعهم ولدوا هنا، الأكبر «شنان» على اسم والده والثاني «سلطان» على اسم والدي والثالث «وطبان» على اسم جدي الأكبر.

نسيت أن أقول إنني من القلة الذين ما يزالون ينادون «عباس»

باسمه الأصلي. . أما الآن فهو يحمل هذا الاسم: «محمد عبدالله الشمري»!

*** وصاحبك «عباس» هذا، هل هو شيعي أم سني؟**

ـ تريد الصدق؟

*** بالتأكيد. .**

ـ قسماً بالله حتى هذا اليوم لا أعرف.

*** كيف؟!!**

ـ لأننا في ذلك الوقت، وإلى عهد قريب، لم نعتد على طرح مثل هذه الأسئلة. لو سألتني عن التجار في «سوق العراقيين» لقلت لك إنهم جميعاً من الشيعة، ومن أهل «النجف» تحديداً. . وما يسمى بسوق العراقيين هو بالأساس النواة التي تشكّل منها سوق رفحاء. . بل إن كبار السن يحكون أن بيت «آل بو شنّو» - وهو بيت تجاري بالنجف - كان يُورد البضاعة لكافة المناطق الشمالية في الخمسينيات والستينيات. . ويحكون النوادر عن العلاقات الرائعة بينهم وبين «ابن سرهيد الشمري» و «التويجري» وعن الثقة المتبادلة بينهم.

*** غريبة «رفحاء». .**

ـ رفحاء بسيطة. . الغريبة هي السياسة وما تفعله بحياة الناس البسطاء وعلاقاتهم مع بعضهم البعض. هل تريد أن أخبرك بأمر مضحك. . رغم أنه غير مضحك؟

*** ما هو المضحك وغير المضحك في آن؟!**

ـ «شنان» الإبن الأكبر لـ«عباس» قـبُض عليه قبل فترة بشبهة

انتمائه لـ«الجماعة». . فهو مطوع متديّن جداً وإمام مسجد الحي الذي يسكن فيه والده.

*** يخيّل لي أن «رفحاء» التي تتحدث عنها لم يعد لها وجود**

ـ هي موجودة. . ولكنها تغيّرت. . شوهتها أفكار الحروب وحروب الأفكار.

الورقة رقم «٢٥»

في هذه الشقة صار اسمي «فارس سعيد».

في هذه الشقة اعتدت على ارتداء النظارة الشمسية في كل ساعات النهار.. والليل أيضاً، وزيادة في الاحتياط صار لديّ ثلاث نظارات!

في هذه الشقة لم أكتفِ بحلق لحيتي فقط، بل حلقتُ شاربي أيضاً لأول مرة في حياتي.

يا إلـهي.. في الأيام الأولى صرت لا أطيق رؤية وجهي في المرآة! كنت أنظر لوجهي وكأنني أرى وجهاً آخر.. وجهاً لا أعرفه. حتى أصابعي صارت تتحسس وجهي بريبة وكأنها لا تعرفه.

وفي هذه الشقة أيضاً بدأت علاقتي الحقيقية بسيدة القلب «تاء».

هنا.. على هذه الأريكة، منحتني لبنها وعسلها وخمرها. تأتيني وهي تلبس أجمل الملابس لأجلي، ولا تذهب إلا بعد أن تخلع أجمل الملابس لأجلي أيضاً.. حتى لا يبقى شيء يغطي جسدها الرائع سوى جسدي الجائع إليها، طالما التهمها بوحشية كائن بدائي. هنا شربتها حتى الثمالة، ولم أرتوِ منها. هنا أكلتها، ولم - ولن - أشبع منها.

في هذه الشقة - ولولا وجود «تاء» - لأصابتني الوحشة والوحدة بالجنون، ولقتلني الحنين للأهل والأصدقاء.. ولحياتي السابقة. ولكنها سيدة القلب «تاء»، مع نفس الباب الذي أفتحه لتدخل، تخرج الوحشة والحنين والحزن والجنون، ولا يبقى سوى جنونها.. تدفعني من صدري لأسقط على الأريكة.. ترمي عباءتها وطرحة الرأس.. وتسقط فوقي.. بعد أن تباعد بين ساقيها.. ركبة على يساري وركبة على يميني.. وردفين رائعين يجدان مكانهما المناسب في حضني. تحتضن وجهي بكفيها، وتقترب حتى يلامس أنفها أنفي..

وتسألني بهمس: من هو حبيبي؟

أرد عليها كما تشتهي: أنا.

تُبعد وجهها قليلاً عن وجهي، وتقول بغضب مصطنع ولذيذ: لاااء.. أنت حبيبو.. أنت دادا.. أنت طفلي الرائع.. هيّا.. قلها كما يقولها الأطفال «آنااااا».

تُقبلني، وتقول بهمس بإمكانه أن يذيب جليد القطبين: هاااه.. من هو حبيبي؟

أقول لها (كما شاءت وشاء لها الهوى): آنااااا

ـ من هو سيدي ومولاي؟

ـ آنااااا

معها أصبح طفلاً حقيقياً. تسحبني من يدي، وتسحب القلب والروح أيضاً، كأنني طفل يتعلم المشي. يتعلم الكلمات الأولى. ورغم كل خطورة هذه العلاقة إلا أنني أشعر معها بالأمان، أنسى «الجهاز» و «الجماعة»، وكل ما ابتكره الانسان من أنظمة وقوانين وعادات. تسحبني إلى غرفتي الكئيبة.. ترمي بي على سريري

الموحش والبارد.. تطرد الوحشة منه، وتحيل برده إلى حرائق تجتاح العالم.

ألاعب أزرار القميص.. ببطء أفتحه..

أنظر إلى نهديها.. كل مرة كأنني أراهما لأول مرة.

تسألني: عطشان؟

ـ جداً.. وسأشرب من دجلة.

تقول، وهي تشهق بالكلمات: كن عادلاً.. والفرات؟!

لحظات، وكل قطعة من ملابسنا تذوب في زاوية من زوايا الغرفة..

ولحظات، ونتحول إلى جسد واحد..

ولحظات، ويئن الجسد الواحد.. يئن السرير.. تئن الغرفة.. يئن الكون.

ما أن أنتهي إلا وأرتمي على صدرها، وكل مرة تجتاحني موجة من البكاء. في المرات الأولى كنت أسيطر على نفسي.. مؤخراً كنت أبكي بصمت. دمعي يبلل صدرها.. ولم تسألني مرة: لماذا البكاء؟

وحتى لو سألتني، لم أكن أعرف الإجابة!

كانت تكتفي باحتضاني أكثر، ومداعبة شعري بصمت.

*** «تاء» لم تسألك، ولكن أنا يأكلني الفضول وسأسألك: لماذا البكاء؟**

ـ لا أدري!

*** لعله الشعور بالذنب عندما تذهب السكرة وتأتي الفكرة، أو لعله الخوف من فقدها وفقد هذه المتعة التي تمنحها لك، أو لعلها حالة جنسية. . فالبعض - سواء من الرجال أو النساء - تبكيهم اللذة ولا تكتمل الشهوة إلا بانسكاب الماء من كل الجهات!**

ـ قلت لك لا أدري.

الورقة رقم «٢٦»

لا توجد رواية واحدة متفق عليها تبيّن سبب ترك «عباس الدليمي» للعراق وهجرته إلى السعودية، وتحديداً إلى «رفحاء». .

هناك من يقول إن السبب هو اختياره - ضمن آخرين - للذهاب إلى الجبهة للمشاركة في الحرب العراقية الإيرانية، تلك الحرب التي قـُتل فيها شقيقه وعدد من أقاربه. وهناك من يقول بهمس: إنه مطلوب بدم. . بعد أن قتل أحدهم. وما هروبه إلى هنا إلا هروب من طالبي الثأر، وهروب من حكم بالإعدام صدر بحقه.

تختلف الروايات لكنها تتفق على أن «عباس شنان الدليمي» هارب من الموت، ومن أحكام بالإعدام. . فالهروب من الجيش وقت الحرب حكمه الإعدام.

وحده الذي كان يعرف حكاية «عباس» بكامل تفاصيلها وأسرارها. . والدي.

ومنذ اليوم الأول لوصول «عباس» في رحلة هروبه من العراق، أسكنه والدي في منزله، وعمل على استخراج بطاقة «نازح» له. . مثل تلك البطاقات التي تـُمنح لبعض القبائل القادمة من العراق وسوريا، وذلك لكي يتنقل بسهولة، ويشعر بالأمان، وطبعاً كانت

هذه البطاقة باسم آخر غير اسمه الحقيقي.

منذ أن وعيت على هذه الدنيا وأنا أرى «عباس».. كأنه أحد أفراد العائلة.

في طفولتي كنت أظنه يعمل مع والدي أجيراً، وعندما كبرت اكتشفت أنه أشبه بشريك له في تجارة الأغنام، فـ«عباس» هو الذي يُدير «الحوش» في سوق الغنم، وهو الذي يقوم بالبيع والشراء، وهو وحده - وأحياناً بمساعدة زوجته بدرية - من يقوم برعاية الأغنام وتدبير أمر أعلافها. ولا يخلو هذا الحوش أحياناً من النوق.. ولكن في الغالب لا يوجد فيه سوى الأغنام.

من يعرف «عباس» بشكل جيّد لا يمكنه أن يـُصدق أن هذا الرجل ارتكب في يوم ما جريمة قتل!.. كيف يعقل هذا؟.. «عباس» بسيط جداً، وطيّب حد السذاجة، ويحب الشعر ويحفظه، وشفاف.. عندما يبكي كأنك ترى طفلاً عمره خمسون عاماً!

قبل وفاة والدي أصرت «نورة» على أن يعود إليها ويسكن معها في منزل زوجها لترعاه بعد وفاة والدتي المفاجيء بالرياض.. لم أرفض طلبها فقد كنت مشغولاً بسنتي الأخيرة في الكلية. وعند وفاته رحمه الله عدت إلى رفحاء للمشاركة في دفنه وتلقي التعازي فيه.. كنت طوال العزاء متماسكاً.. حتى أنني حاولت أن أبكي ولم أستطع.. إلى أن دخل «عباس».

قالوا لي لاحقاً.. إنه كان يدخل إلى باحة منزل خالي - وكان العزاء فيه - ويخرج، ثم يدخل ويبكي ويخرج قبل أن يدخل إلى مجلس الرجال ليقدم العزاء لي، وأخيراً تقدّم.. وعند عتبة باب

مجلس الرجال، وعندما التقت عيني بعينه، لم تسعفه قدماه.. سقط على الأرض وأنفجر باكياً مثل طفل، وصرخ «آآآخ يا محمد.. يا ويلي على أبوك».. لحظتها فقط شعرت أنني فقدت أبي.. كأنني الآن أتلقى خبر وفاته.. حاولت أن أقوم من مكاني ولم أستطع.. لحظات لا أدري ما الذي حدث خلالها.. صحوت وأنا أحتضن «عباس» وأبكي معه وكل من في المجلس يقفون حولنا ويحاولون نزعه عني وهم يرددون: استهدوا بالله.. تعوذوا من الشيطان.. أدعوا له بالرحمة..

كان والدي رحمه الله يقول لي:

لا خيار لنا في أخ الظهر وأخ البطن، أما «أخو الدنيا» فنحن الذين نختاره، وأنا اخترت «عباس» أخي.. فكن باراً به.

كان يوصيني على «عباس» مثلما كان يوصيني بأخواتي البنات.

*** وأنت الآن تخون «حليفك» وحليف أجدادك..**

ـ أنا!.. كيف؟!

*** طوال هذه الأوراق وأنت تكشف أسراره..**

ألا تخشى عليه إن بعض هذه المعلومات قد تضره؟

ـ وهل ظننت أنني وبكل بساطة سأكشف اسمه الحقيقي؟!.. هل نسيت أنني أعمل في «الجهاز» وأستطيع أن أجعلك تصدق ما أريد لك أن تصدقه رغم أنه غير صادق وغير حقيقي أحياناً!

*** والبقية؟!**

ـ سأخبرك لاحقاً!

الورقة رقم «٢٧»

شعرت بالخجل عندما أتيت على ذكر «فريحة العتيق» ووصفتها بأنها «عبدتنا»!

كنت أشبه أجدادي البدو عندما يُسألون عن أحدهم، فيجيبون: هذا «عبد» فلان أو «عبد» القبيلة الفلانية. فقط كانوا يريدون أن يحددوا انتمائه لمن يسألهم، ولم يكونوا يقصدون «العبودية» بمعناها الحقيقي.

أنبل وأكرم من تعامل مع «العبيد» بين شعوب الأرض - وطوال التاريخ - هم البدو. كانوا يتعاملون معهم كأنهم «أخوة» لهم.

البدوي يشتري «العبد» ولكنه لا يبيعه أبداً. وهذا ما حدث مع «فريح العتيق» فرواية تقول إن جدي الأكبر «وطبان» اشتراه من سوق «حائل» وهناك رواية تقول انه هدية من حاكم حائل «ابن رشيد» عندما أتى جدي للسلام عليه. وهناك رواية تجمع الروايتين أو تقف بالمنتصف، وتقول إن حاكم حائل منح جدي مبلغاً من المال وبهذا المال اشترى «فريح». . طبعا لم يكن إسمه «فريح» بل هذا هو الإسم الذي أطلقه عليه جدي. تقول الروايات إنه كان ولداً صغيراً لم يبلغ العاشرة عندما أتى به «وطبان» إلى مضارب قبيلته، ويحكون أنه كان «يرطن» بلغة غريبة!

هؤلاء الذين يتم «بيعهم» إما أنهم حجاج من مسلمي إفريقيا أتوا للحج وزيارة مكة المكرمة وتم اختطافهم من بعض قطاع الطرق لبيعهم في بعض أسواق النخاسة البعيدة وبأسعار بخسة، أو أنهم ممن تمت سرقتهم من سواحل إفريقيا وتم جلبهم عبر السفن ليباعوا في موانيء الحجاز وسواحل عمان. وهناك من يتم «كسبه» في غزوات القبائل ضد بعضها، ويكون من ضمن غنائم الغزو الإبل والخيل والعبيد الصغار!

البدوي يستأمن «عبده» على أهله وحلاله، و «العبد» لم يكن ينادي هذا البدوي بـ: يا سيدي. بل: يا عمي.. وكأنه أحد أبناء أخيه. لهذا لدى البدوي الإستعداد للدخول في معركة قاتلة وأخذ الثأر إذا ما قام أحدهم بقتل عبده.. وكأن القتيل ولده. وهذا ما حدث مع جدي «وطبان» عند مقتل «فريح العتيق».

يحكون عن «فريح العتيق» الحكايات الأسطورية، عن شجاعته وقوته ودهائه، ويصفونه بأنه سريع جداً.. بإمكانه أن يقاتل الغزو ويرد النوق التي تتعرض للسلب وهو يركض على قدميه!.. وهو فوق هذا طريف جداً ما يزال شيبان قبيلتنا يرددون بعض نوادره اللطيفة.

يقول عنه والدي (رغم أنه لم يره سوى في الحكايات):

«فريح» لم يكن عبداً.. كان شيخاً أسود!

ويقولون إن جدي الأول «وطبان» حزن لمقتل «فريح» - ربّاه

وزوّجه كما يفعل مع أولاده.. ومات وهو يحمي نوقه - ولم يهدأ له بال ولم ينم له جفن إلى أن أخذ ثأره من قاتله.. وكان يردد: «فريح حر.. ولن أقتل مقابله إلا حراً مثله».

يحدث أن القبيلة تختار أحد الأماكن لتنزل فيه، وهي في طريقها بحثاً عن المرعى الطيّب، ويتجاوزهم «وطبان» بحثاً عن مرعى أطيب ومياه أوفر ولكنها أخطر وذلك لقربها من مراعي الخصوم وحماهم.. فتنصحه القبيلة بالبقاء معها خوفاً عليه من أن تتعرض نوقه للسلب. ينظر إليهم، ويرد عليهم بكبرياء:

النوق التي يملكها «وطبان» ويرعاها «فريح» لن يجرؤ أحد على الاقتراب منها.

أحفظ الكثير من حكايات «فريح العتيق» لكثرة ما كانت ترويها لي ابنته «فريحة العتيق».. وأحببته مثلما أحببت جدي العظيم «وطبان».

«فريحة» ليست «عبدتي».. «فريحة» عمتي.. هكذا أناديها، وهذا ما أشعر به.

أتذكرها في طفولتي، عندما تزورنا في بيتنا، ورغم قرب بيتها فإننا نحن وأولادها نعلم بأنها ستبات هذه الليلة في بيت «الوطبان». كانوا أخواتي البنات يتسابقن لرعايتها، وتقديم العشاء لها، وتجهيز فراشها. وصوت والدي من ورائهن يردد: «اهتممن بعمتكن يا بنات».

كانت ليلة رائعة تلك التي تزورنا بها «فريحة». كنت أحظى بالكثير من الحكايات الساحرة، مثل حكاية بنت الشيخ التي يخطفها

الجان ولا ينقذها سوى ابن الراعي الفقير، وهناك حكايات «تريترا» الخرافية تلك العجوز الشمطاء التي تسرق الأطفال وتأكلهم!

في زيارتي الأخيرة لـ«رفحاء» أذهب إليها في منزلها للسلام عليها. أنحني لأقبلها على جبينها، فترد القبلة بثلاث قبلات، واحدة على جبيني والأخرى على عيني والثالثة على أنفي، وتحتضنني بقوة لصدرها، وهي تردد: هلا بالغالي.. هلا بولدي.. هلا برائحة أهلي وأجدادي.. هلا برائحة «الوطبان». تردد هذا الكلام، وتخنقها العبرة.. وأحياناً تبكي.. ولا أدري لماذا؟.. ولكنني أحياناً أشعر أنني أريد أن أشاركها البكاء.

الآن.. في هذه الشقة الرطبة والخانقة.. أتذكرها.. أتذكر العطور البدوية التي كانت تفوح من «شيلتها» عندما كانت تحتضنني.. أشعر أن رائحتها تملأ فضاء الغرفة.. للأنف ذاكرة لا تنسى روائح من نحب من الناس والأشياء..

أتذكرها، وأسأل نفسي: ما الذي بقي في جسدي من رائحة أجدادي يا «فريحة»؟!

وتكون الإجابة بعض الدموع التي تخرج من الروح ولا تصل إلى العين.. فتقف في منتصف الحلق!

*** يا رجل أرجوك؟.. قليلاً من المنطق..**

ـ لماذا؟!

*** تريدني أن أصدق أنكم تتعاملون مع «العبيد» بهذا الشكل؟.. لا.. وأيضاً تنادي العجوز «فريحة» بـ«العمة».. يا**

رجل؟!!

ـ أنت حر.. صدّق ما تريد.. وكذّب ما تريد..

*** لن أكون وحدي.. كل من ستقع هذه الأوراق بيده سوف يسخر منك ومن أوراقك.. هذا إذا لم يفكر برميها في أقرب سلة مهملات.**

عن أي مجتمع تتحدث؟

ـ هل تريدني أن أكتب أوراقي بالطريقة التي تروق لك؟

*** لا.. ولكنك تنتمي إلى مجتمع تقليدي جداً ما يزال يرى أن البشر أصحاب البشرة السوداء على أنهم «عبيد». و «فريحة» السوداء تكاد أن تكون أكثر شخصية أحببتها في أوراقك.. ولكنها سوداء.. ولهذا هي بنظر الأغلبية كانت وما زالت وستظل «عبدة».**

ـ لا تشرح لي ما يحدث حولي.. أعرفه.. ولكنني أكتب ما حدث معي وبصدق، وكيف كنا نتعامل معهم.. فلا تكذبني أرجوك..

*** لن أكذبك.. ولكن، لكل قاعدة أستثناء، ويبدو أن بيت «الوطبان» الأستثناء الذي يؤكد قاعدة البيوت الأخرى..**

ـ أنا أتحدث حتى عن البيوت الأخرى التي أعرفها..

*** أعذرني.. لا أستطيع أن أصدقك في هذه الورقة.**

إذا كانت الحواضر العربية - بلاد الشام.. مثلاً - ما تزال تسمّي «الفول السوداني» بأسم «فول العبيد».. فقط لأنه «سوداني»، فهل تريدني أن أقتنع بأن مجتمع تقليدي، وحتى الأمس القريب كان بدوياً، بأنه يتعامل مع السود بهذا النبل؟..

لا تنسى ما قاله أهم شعراء العربية «المتنبي» عن أحد أهم الزعامات في وقته «كافور الاخشيدي»..

ـ ستعيدني ألف سنة إلى الوراء؟!

* حسناً.. سأعيدك لعصرك هذا.. أنظر ما قاله «محمد حسنين هيكل» عن خصمه «أنور السادات» في كتابه «خريف الغضب» عندما كتب عشرات الصفحات ليخبر القاريء ان «السادات» يعود لأصول سوداء.. وأنظر ما قاله عن أيحاءات اسم «الساداتي»!..

يا رجل، أقسم لك أنه لو أتى إليكم أبن ملك ملوك أفريقيا، ونظرتم إلى لونه الأسود، وأنفه، وشعره المتجعد، لتعاملتم معه على أنه مجرد «عبد» أسود، ولقمتم بتأليف النكات على شكله وعلى غبائه المفترض.

لا تزالون حتى هذا اليوم تقولون للغبي في أمثالكم «وين أذنك يا حبشي».. فالحبشي الأسود بنظركم لا يعرف موقع اذنه ولا يرى أبعد من أنفه!

الورقة رقم «٢٨»

البدو، طالما أنهم متمسكون ببداوتهم لا ينصاعون لأي نظام، ولا يحترمون من القوانين سوى قوانينهم، تلك القوانين التي ابتكرتها الصحراء لتتلاءم معهم. هم مخلوقات حرة، ترفض أي شكل من أشكال القيود.

والدول الحديثة بأنظمتها وعسكرها - بالنسبة إليهم - مجرد قيود، والحدود: قيود!

إلى عهد قريب لم يكونوا يعترفون بالحدود ومراكز الحدود. ورغم أنهم أصبحوا مواطنين في دول حديثة، ويحملون هوياتها وجوازات سفرها، إلا أنهم كانوا يـُفضلون السفر عبر دروبهم السريّة، التي لا تمر بالجوازات ولا مراكز الحدود، دون أوراق رسميّة ولا استئذان. يفعلون هذا حتى عندما تكون رحلاتهم آمنة وقانونية وخالية من «تهريب» أي شيء ممنوع.. أو يظنون أنه ممنوع!

هذا ما كان يفعله والدي عندما يسافر إلى العراق، وتحديداً إلى الجنوب، ويقيم ضيفاً عند حلفائه من «الدليم» الذين يستقبلونه بحفاوة، وينجزون ما يريده من أعمال، ويحمونه إذا دعت الحاجة لحمايته.

وهذا ما يفعله «عباس الدليمي» - ووالده من قبله - أو أي أحد

من أقاربه، فإن مسكنهم ومطعمهم ومشربهم سيكون في بيت «الوطبان» وهناك ستنجز أعمالهم وحاجياتهم في الجانب السعودي.

كان بين بيتنا و «الدليم» حلف بدأت حكايته قبل والدي و«عباس» بسنوات طويلة.. يـقُال إن أحد أجداد «عباس» لجأ إلى جدي الأكبر «وطبان» وأقام في حماه ثلاث سنوات، إلى أن أنتهت مشكلة الدم مع أحد أقاربه، وعاد بعدها. ولكن العلاقة استمرت مع الأبناء والأحفاد.

عبر هذه الدروب السريّة قام والدي بتهريب «بدرية» زوجة «عباس» ومعها طفلتها الصغيرة «فطيّم» وذلك لتلحق بزوجها، بعد ثلاث سنوات من عبوره من نفس المكان، ولم يكن والدي لوحده في تلك العملية فقد كان بجانبه «سرهيد» و «ضاري بن سرهيد» ورفض وبإصرار أن يرافقهم «عباس».. خوفاً عليه من أن يكون هناك أحد في الجانب الآخر يعلم بعملية التهريب ويترصد له للقبض عليه أو قتله. وعبر هذه الدروب السريّة قام والدي سابقاً بتهريب السلاح برفقة صديقه وابن عمه «أبو ضاري»..

تقول والدتي رحمها الله: إنه بعد ولادتي توقف عن التهريب، واكتفى بجمع الأغنام والعناية بها وبيعها.. رغم أن «خالي» لديه رواية أخرى، يقول فيها: إن «سلطان الوطبان» توقف نهائياً عن العبور إلى الجانب العراقي منذ أن لجأ إليه «عباس».. فهو بالنسبة لخصوم «عباس» صار أيضاً خصماً لهم، ويعلمون هناك أن «عباس» يعيش هنا في حماية «سلطان الوطبان».

أتساءل اليوم، وأنا أستطيع تخمين الإجابة: هل الحياة الحديثة شوّهت البدو؟.. أم أنهم مشوهون أصلاً، وكل ما فعلته الحياة الحديثة، أنها كشفت هذا التشوّه!

الورقة رقم «٢٩»

العسكر في كل مكان يظنون أن العالم لو خلا منهم لتحوّل إلى فوضى لا تـُطاق. والآخرون يرون أنه لو خلا من العسكر سيصبح أجمل وأكثر عدالة. طبعاً يرى «العقيد» أن هؤلاء الآخرين ليسوا سوى مجانين أو حمقى لا يعرفون ما يحدث فوق الأرض.. وما يحدث تحت الأرض!

الآن.. أتذكر «العقيد» وأستعيد بعض التفاصيل، وأتساءل:

لماذا اختارني «الجهاز» لكي أكون أحد أفراده؟

ولماذا تم اختياري أنا تحديداً لهذه المهمة؟.. وكيف وافقت بهذه السهولة ودون تردد على القيام بها؟.. هل كنت - وبغباء - أبحث عن البطولة؟!.. أبحث عن مجد يشبه مجد أجدادي؟.. أم أن كل ما في الأمر أنه أعجبني السيناريو المثير، ودفعني حب المغامرة لخوض هذه التجربة.

هناك من يرى أنني «البطل» وهناك من يرى أنني «الخائن» وهناك من يرى أنني المجرم المـُطارد.. أيهم أنا؟.. أي الوجوه أقرب إلى ملامحي الحقيقية؟..

أتذكر قبل عملية «الرس» خوفي وانشغالي على «أبي بكر»..

لحظتها أربكني قلبي.. لم أعد أعرف هل أنا معه أم ضده؟.. هل أتيت لكي أسهـل القبض عليه أم لكي أحميه؟.. كنت لحظتها مستعداً لأصوّب بندقيتي تجاه رجال الأمن لكي أحميه!

كنت أتمنى لو أنهم قبضوا عليه.. وبكيت كثيراً عند مقتله.. لحظتها لم أعرف أنا مع من أو ضد من؟

كان «أبو بكر» يقول لي:

أخي الحبيب «أبو معاذ».. أنظر حولك.. كل بلاد الإسلام تتعرض لهجمة شرسة.. قل لي هل ترى على الأرض، وفي كل الجبهات، أحداً غيرنا يقاوم ويقاتل؟.. الله المستعان.. ويسموننا إرهابيين!.. هل تصدق؟.. قبل سنوات قليلة كنا مجاهدين.. ونحن كما نحن لم نتغيّر.. من يـُطلق الصفات ويوزع الأسماء هم الذين تغيروا.. اللهم ثبتنا يا مثبت القلوب.

أحببت «أبا بكر».. وأربكتني الأحاديث التي كانت تدور بيني وبينه.. بل إنني في لحظة من اللحظات تمنيت الموت برصاصة ما.. من «الأمن».. من «الجماعة».. أو طائشة لا يعرف أحد مصدرها!

أي فوضى تلك التي قبلت الدخول فيها.. وإليها؟

كيف سمحت لهم بطمس اسمي؟..

لو أن والدي كان على قيد الحياة ورآني الآن، ما الذي سيفعله؟.. يحتضنني ويـُقبل جبيني أم يبصـُق على وجهي؟.. هل وفاة والدي ووالدتي وعدم ارتباطي بالأسرة وإقامتي في «الرياض» بعيداً عن الأهل والأقارب جعل «الجهاز» يرى أنني مناسب له؟. أم

تفوقي بالكلية الأمنية هو سبب الإختيار؟.. أم أن هناك سبباً ثالثاً لا أعرفه.

قال لي «العقيد»:

سيكون الأمر بهذا الشكل.. يبدأ بتغيبك عن العمل، ومن ثم حصولك على بعض الإنذارت.. وبعدها يتم نقلك تأديبياً إلى «الخرج».. وطوال هذه الفترة تأخذ شكل «الجماعة» وسترتاد أماكن ومساجد معينة نحددها لك.. وطبعا سيتغيّر شكلك الخارجي تدريجياً. أقصد طول اللحية وقصر الثوب.. وحينها سيتم فصلك من العمل!

وقتها لن تذهب أنت إلى «الجماعة».. بل «الجماعة» نفسها ستأتي إليك.

وأضاف: ولن نكتفي بفصلك.. بل ستصبح بعد فترة - وحتى بنظر رجال الأمن - أحد الإرهابيين.. بل إن أسمك من الآن سيكون ضمن أول قائمة تعلن، للقبض على أفرادها.

بعد هذا الحديث بسبعة أشهر، وفي أحد مساجد «الروضة» انحنى عليّ شاب ملتحي، عرّف بنفسه: أخوك «أبو هاجر»!!

بعد لقائي به بأسبوع واحد ذهبنا سوياً إلى استراحة لـ«الإخوة» في شرق «الرياض».. ولم أخرج منها إلا وأنا أحمل اسمي الجديد.. «أبو معاذ الطائي»!

الورقة رقم «٣٠»

هل يُعقل أنني أحببت «القناع» أكثر من محبتي لوجهي الحقيقي؟!

أظن أن هذا ما حدث لي عندما قمت بنزع وجهي لألبس قناع «أبو معاذ الطائي». في وقتها أصابني شعور بأنني لا أنزع وجهي، بل أنزع قناعاً لبسته منذ طفولتي - ولسنوات طويلة - وهو وجه «محمد الوطبان» وأنني الآن فقط استعدت وجهي الحقيقي وهو «أبو معاذ الطائي»!..

تربكني الفكرة الآن عندما أستعيدها وأفكر فيها مرة أخرى.

ما السبب؟.. هل لأن «أبو معاذ» أكثر تديناً من «محمد الوطبان»؟..

هل لأن «أبو معاذ» لديه موقف واضح في هذه الحياة، ولديه قضية مستعد للموت من أجلها؟!..

ولكن..

«أبو معاذ» لم يكن أكثر من «دور» في عمل تمثيلي!

أظن أنه «الدور» الذي أحببته وتمنيت في أعماقي أن أعيشه في الحياة.

أتذكر أنني قرأت أن بعض الممثلين العظماء يندمجون في بعض

أدوارهم وشخصياتهم إلى الدرجة التي لا يستطيعون بعدها العودة لحياتهم الطبيعية بسهولة.

الذي أنا متأكد منه الآن أن أكثر وجه كرهته هو وجه «فارس سعيد»..

هو وجه لا يشبهني.. بل أشعر أنه يعذبني. وأكثر وجه أحببته - وأرتحت إليه - هو وجه «أبو معاذ الطائي»..

وأتذكر قبل سنوات - عند موت صديقي «سليمان العنزي» - أنني كدت أرتدي هذا الوجه.

*** يبدو أنك تهذي..**

ـ لا.. أنا لا أهذي.. ولكنني.. أحاول أن أقبض على ملامحي الحقيقية.. وأعرف أي الوجوه هو وجهي الحقيقي.

*** لن تستطيع أن تفعل هذا.. ولست وحدك من يحدد هذه الملامح.. كل عين تراك لها وجهة نظر مختلفة فيك..**

ـ أنت تتحدث عن السطح..

*** السطح عنوان العمق، وأول خطوة للوصول إليه. ألست أنت الذي قلت في ورقة سابقة أن النفوس الطيبة هي التي تحمل وجوهاً طيبة، وأن وجوهنا الخارجية هي التي تكشف دواخلنا..**

ـ نعم..

*** كل ما في الأمر أن تذكرك لوجه «أبو معاذ الطائي» يستدعي حضور صديقك «أبو بكر» وهذا الأمر يجعلك تشعر بتأنيب الضمير لأنك كنت سبباً في قتله في المواجهة..**

ـ نعم.

*** لاحظت؟!.. أنت «نعم» بسرعة.. ودون تفكير..**

ـ عندما بدأت المهمة لم أكن أتوقع أن الاقتراب منهم بهذا الشكل سوف يربكني ويربك قناعاتي. لم أكن أتوقع أن التفاصيل الصغيرة والأشياء الصغيرة التي تحدث بيننا سوف تعذبني بهذا الشكل..

*** لا تنسى.. مثلما كانت لهم قضية.. أنت أيضاً كانت لك قضية وهي حماية البلد من الفوضى.**

ـ وهل تـُعالج الفوضى بالفوضى؟

*** إنها الفوضى المنظمة.. أحياناً هي الحل الأمثل!**

وأريد أن أقول لك شيئاً: من أجل «محمد الوطبان» لا تكره «فارس سعيد» أكثر من اللازم، ولا تحب «أبو معاذ الطائي» أكثر من اللازم. أو.. أو.. تخلّص منهم جميعا، وتخلّص من هذا النص!

ـ ان كان هنالك أحد يجب أن أتخلص منه، وبأسرع وقت.. فهو أنت!!

الورقة رقم «٣١»

بيان عبدالله القحطاني ـ أحد المطلوبين الـ ١٩

من عبد الله سلطان بن جبران بن سلطان آل عصمان القحطاني

إلى من يصله كتابي من المسلمين:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

واصلي وأسلم على النبي الهادي محمد الصادق الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبعد:

إن الناس قد سمعوا وشاهدوا في بداية شهر ربيع الأول عندما زعمت حكومة آل سعود أنها طاردت خلية في الرياض وعثرت على متفجرات وبعض الأسلحة، ثم أعلنت عن تسعة عشر اسماً ونشرت صورهم ظناً من الحكومة أنها سوف تؤلب الناس علينا فكنت أحد الذين ألصقت بهم التهم الباطلة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقام بعض إخواننا المجاهدين بنشر بيان يرد فيه على مزاعم الحكومة، وحقيقة لم يغب ذلك الأمر عني أقصد الرد على مزاعم الحكومة فجهزت بياناً كتبت فيه ما أدين الله به من دحض للأكاذيب والافتراءات التي ادعتها الحكومة السعودية وما إن شرعت في نشر ذلك البيان حتى وقعت الانفجارات في الرياض والتي استهدفت

مواقع سكنية للأمريكان مما زاد غضب الأمريكان علينا وزاد غضب حكام البلد وخاصة أن هذه التفجيرات أتت قبيل زيارة «باول» للرياض فكان لزاماً أن تسعى الحكومة لإلصاق التهم بالذين نشرت أسماؤهم مباشرة كي لا يتضح عجزها عن اكتشاف المسئولين عن أحداث الرياض. مع علم الحكومة يقيناً أننا بريئون فلم نقم بالمشاركة فيها لا من قريب ولا من بعيد. ومع أن العمليات التي في الرياض شفت صدور قوم مؤمنين وردت لهم كرامتهم وكان أكثر ما أسعدنا وجه «كولن باول» وزير خارجية أمريكا عندما بدت عليه آثار الأسى والحزن والذهول، فغضبت لهم الحكومة السعودية وجيشت للمجاهدين العساكر وخرجت ترعد وتزبد على أعلى المستويات فدبرت الأمر والمكيدة مع «أحد الخونة» أتت الحكومة إلى المدينة النبوية ومن خلال المعلومات الّتي لديها من «عميلها» حاصرت الإسكان وأوقعت بالشيخين ثم حاصرت الشيخ ناصر وطلابه في الأزهري وأوقعت بهم ثم نصبت كميناً لنسائنا فقبض عليهن مع أحد الفضلاء وكل هؤلاء لم يكن لهم أي دور أو عمل سوى أنهم يريدون أن يختبئوا خوفاً من السجن ظلماً وبهتاناً بتهم وأحكام معدّة مسبقاً. هذا موجز عن الأحداث المنصرمة وأحب أن أوجه رسائل إلى عدة جهات وأرجوا أن تؤخذ بعين الاعتبار فانا الجاد ولست بالهازل.

الرسالة الأولى:

إلى العلماء العاملين بأمر الله والمتقين لربهم إلى المصلحين الذين يسعون لصلاح الدين والدنيا أقول لهم إن هذا البلد مقبل على مرحلة لا نريد الخوض فيها وإن أجبرنا على خوضها فإنا بربنا أقوياء

فهو ناصر من ينصره وإن كنّا قلة وقد صمدنا تحت حمم القنابل والصواريخ الأمريكية في (تورا بورا) وغيرها فليس هؤلاء أشد بأساً من أولئك فالله مولانا ولا مولى لهم وسيعلمون أن الأمريكان يحرصون على مصالحهم أكثر من سلامة حكام البلد ولسان حالهم يقول فليذهبوا للجحيم فنريد أن يخرج المشايخ المسجونين كلهم عن بكرة أبيهم وخاصة الذين أسروا في المدينة النبوية وطلابهم وأن يفرجوا عن نسائنا اللاتي لم يعرفن شيئاً عن تنظيمات وحركات إسلامية مسبقاً، فإن أبوا فقد أعذر من أنذر وسنعمل كل ما بوسعنا لإخراج الأبرياء من محنتهم حتى يعود الحق إلى أهله أو نقتل على ما قتل عليه البطل يوسف العييري نسأل الله أن يتقبله شهيداً. وإن هذه الحرب سوف تجني على البلد مالا يحمد عقباه فلسنا كما يردد بعض الناس آمنون مطمئنون فنحن لسنا آمنين وإن كان ثمن الأمن هو القتال فحيا هلا بالموت ولا يظن أحد أن الحل في ملاحقتنا وإن تمكنوا منا فخلفنا رجال يشترون الجنة بأنفسهم دفاعاً عن إخوانهم وما يوم ١١ سبتمبر منا ببعيد. أقول لكم أيها العلماء إنا جادون وبلغنا من الجد منتهاه ولقد كنا حريصين على تجنب القتال مع أي نظام في العالم غير أمريكا لكن من وقف في خندقهم فليتحمل ما يأتيه ولا يلومن إلا نفسه.

الرسالة الثانية:

إلى المجاهدين الأبطال وأخص مجاهدي الجزيرة العربية الذين هبوا لنصرة إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها مستحضرين قوله سبحانه وتعالى (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر(فيا إخوتي أيبلغ منا الضر مبلغه من قتل للمجاهدين وأسر للعلماء وأسر

للنساء وأنتم مكتوفي الأيدي لا حراك فيكم (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) إنا نستنصركم على من ظلمنا وعادانا واستباح دماءنا فلم يراعوا حرمة شيخ ذا علم وفضل ولم يراعوا حرمة نساء ذوات ضعف ولين (ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا) إلا تنصرونا فحسبنا الله ونعم الوكيل.

رسالة إلى عامة الناس:

أحبتي معشر المسلمين إن أول ما أحذركم منه هو ما حذركم منه ربكم حين قال (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون الناس عن سبيل الله) الآية. إنهم كانوا سبباً لفساد كثير من الأمور وتشويه الحقائق ولي أعناق النصوص لصالح حكام البلاد وقد انطبقت فيهم كثير من صفات المنافقين فلا زالوا يتباكون على أشلاء الأمريكان في الرياض ومن قبل في نيويورك وواشنطن ولا يغرنكم أيها الناس سكوت العلماء الصادقين أو تصريحهم بما يخالف الحق فالصحابة خير منهم ومنا ومع ذلك قال الله فيهم (يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) هؤلاء أهل بدر خير الصحابة فما حال الصادقين من أهل العلم فإذا أتت طوام وفتن لم يثبت من أهل العلم إلا قلة هم من يخلد الله ذكرهم ويبقى أثرهم، مثل ذلك إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله ورحم الله الشيخ حمود بن عقلا الشعيبي وفك أسر المشايخ العاملين و هدى الله

الساكتين الخائفين للصدع بالحق والدفاع عن المجاهدين.

رسالة إلى «بوش» ومن ورائه أمريكا:

لا تظن أنا سنغفل عن قتالكم فو الذي نفسي بيده لا يفارق سوادنا سوادكم حتى يباد الأعجل منا وإن الله على نصرنا لقدير. ونحن نعد العدة لكسر ظهركم وخلع أنيابكم وتقليم مخالبكم حتى ننعم بظل حقيقي تحت مظلة الشريعة دون أن تمسها يد العابثين ودون إن يمكر بها الماكرون بعد أن تخرجوا من جزيرة العرب أذلة صاغرين تجرون أذيال هزيمة نكراء على أرض محمد صلى الله عليه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الورقة رقم «٣٢»

أحياناً أكره «تاء». . بل أشعر أنها حقيرة!

يعود وجه «محمد الوطبان» القديم إلى السطح، هذا الوجه الذي يرى النساء صنفين:

إما قديسة، أو عاهر.

ولكن «تاء» امرأة مختلفة. . ليست بالقديسة ولا بالعاهر. . امرأة حرة في مجتمع مستعبد. مجتمع يظن أنه حر، وكثير من الأشياء تستعبده.

أحياناً تكسر القوانين والأنظمة. . ولكنها حرة.

أحياناً تدخل منطقة الممنوع والمحرم. . ولكنها حرة.

أحيانا تخون أقرب الناس إليها. . ولكنها حرة.

«هل هي حرة، أم أنها منفلتة من بعض القيود»؟. . ما هي القيود، ومن الذي صنعها؟. . ما هو الممنوع ومن الذي منعه؟. . ولماذا منعه؟. . ما هو الحرام؟. . ما هو العيب؟. . وقبل كل هذه الاشياء:

ما هي الحرية؟

جميعنا نمتلك نفس العين، ولكن هل الجميع يمتلك نفس النظرة للأشياء؟ . .

والأشياء تتحرك وتتغيّر.

بعض الأشياء، فعلها قبل ثلاثين سنة يعتبر عيباً . .

نفس الأشياء، الآن. . العيب هو أن لا تفعلها.

بالأمس سمعت الشيخ «يوسف القرضاوي» يقول «إن الفتوى تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان» أو هكذا فهمت.

المجتمع يتحرك ويتغيّر. . وأنا أتحرك وأتغيّر. . وجميعنا لا نعلم إلى أين سنذهب؟

أنظر إلى الكأس، وأبتسم:

«يا إلهي. . ما الذي تفعله هذه الفودكا برأسي»؟

* * * *

سألتها مرة: من أنت؟

قالت وهي تبتسم: هذا أكثر الأسئلة التي يمكننا أن نراوغ في إجابتها.

أستطيع أن أمنحك ألف إجابة، كلها كاذبة رغم صدقها، ورغم انها حقيقية، أولها: أنا فلانة بنت فلان آل فلان! . . ولكن، هل أكون لحظتها قد أخبرتك من «أنا»؟! . . «من أنا». . أحياناً أنا لا أعرف من أنا.

ضحكت وقلت: جنونك. . أليس له حد؟

قالت: لو كان للجنون حد لتحوّل إلى عقل!

* * * *

البلد.. كل البلد بحاجة إلى الذهاب لعيادة طبيب نفسي ماهر.

ولكن، لا البلد تؤمن بالذهاب إلى العيادات النفسية (فهي للمجانين فقط!) ولا وجود للطبيب النفسي الماهر.

كل الأطباء النفسيين الذين أعرفهم هم بحاجة إلى أطباء نفسيين، ومنهم هذا الطبيب الذي صرف لي أقراص البروزاك "prozac" تلك.

البلد تعاني من حالة إنفصام في الشخصية.. لها وجه في العلن، وألف وجه في الخفاء.. والغريب أنها في العلن تلعن كل وجوهها الخفية!

* * * *

لم، ولن أصدق أنني أعيش في بلد مدني.. أنا في قبيلة كبيرة تُسمّي نفسها دولة.

قبيلة كبيرة تنقسم إلى عشائر مختلفة، كانت متناحرة، وفي أي لحظة ستعود إلى تناحرها. الدولة تعرف هذا، و «الجماعة» أيضاً.. رغم آيدلوجيتها المختلفة.

عندما أرادت «الجماعة» أن تعيّن مسئولاً عن نقل الإخوة إلى العراق لينضموا إلى «الزرقاوي» تم اختياري لتسهيل عبورهم إلى الحدود. لماذا؟.. لأن «رفحاء» لا يفصلها عن الحدود العراقية

سوى أربعين كيلومتراً.. و: لأن «ربعك وقبيلتك هناك.. وبامكانك تسهيل الأمر» - كما قال لي أمير «الجماعة».

وحتى لو تركنا «القبيلة».. إلى أين سنذهب؟.. ما البديل؟!

لا بد من قبيلة عصرية تحل مكان القبيلة التقليدية.

في الفن والرياضة (ولأنه لا شأن لهما في السياسة) حاولوا ابتكار قبائل وهمية.

هناك في كرة القدم مشجعو نادي الهلال ومشجعو النصر..

وفي الغناء هناك مريدو «محمد عبده» ويقابلهم جمهور «طلال مداح».. ولكنها تظل قبائل وهمية!

مع هذا، ألاحظ أن نصف الأسماء المهمة في البلد، أتت من مدرجات قبيلة «الهلال»!

عند أي حدث، أو موقف تعود فيه القبيلة التقليدية للضوء.. يأتي المثقفون في بلادي ليقولوا: عادت «القبليّة»..

ما أغباهم!.. ومتى ذهبت حتى تعود؟

* * * *

ما أكثر الوجوه التي تختفي وراء وجهك الخارجي.

الحياة كفيلة بنزع كل الأقنعة، وكشف كل الوجوه.

* * * *

يبدو أن أقراص البروزاك "prozac" استطاعت أن تتخلص نهائياً من صديقي المشاكس.

يا إلهي..

عندما كان هنا كنت أتذمر منه..

والآن أشتاق إليه!

* * * *

أسوأ الأشياء في هذه الحياة أن يكون لك خصم لا تعرف ملامحه!

كل وجه تقابله، تشعر أنه قناع يختفي وراءه عدو، ينتظر الفرصة المناسبة واللحظة السانحة لينقضّ عليك.

إن كان حليق الذقن، قلت لنفسك هذا من «الأمن العام». وإن كان ملتحياً ظننت أنه من «الجماعة».. وسيثأر منك!

حتى الوجوه المحايدة، والتي تراها عابرة في الشارع وتبتسم في وجهك، يخيّل لك أن أحدهم سيتعرف عليك بسبب صورتك المنشورة ضمن قائمة الإرهابيين المطلوبين التي نشرتها كل وسائل الإعلام. تشعر أن هذا الذي يبتسم في وجهك.. ينتظر الفرصة لكي يقبض عليك، ويحظى بالمكافأة التي أعلنتها الحكومة.

* * * *

قلت لـ«تاء» ذات حزن: أنا لا شيء...

قاطعتني: أنت كل شيء بالنسبة لي..
وأضافت، بعد أن خبأت رأسي بين نهديها:
أنت حبيبي وبطلي.. ألا يكفي أن تكون بطلاً لامرأة مثلي؟!

* * * *

أرفع زجاجة الفودكا، وأضحك بصوت مرتفع:
«فلتحيا جمهورية روسيا الإتحادية العظمى»!

الورقة رقم «٣٣»

التهاب اللوزتين.. وحرارة رأسي تكاد تصل إلى الأربعين.. وقرصان من دواء «الفلوتاب» المضاد للالتهاب.. والكأس السادسة التي لم أستطع إكمالها. وما بين الهذيان والصحو، وما بين النوم ومقدمات النوم، خرج من جسدي وجلس بجانبي.. بجانب السرير.. ينظر إلي وهو يبتسم..

قلت له: لا تبتسم بخبث.. أعرفك.. أنت الذي خرجت لي سابقاً من المرآة!

قال: ليس مهماً أن تعرفني.. ولكن.. هل تعرفك؟!

قلت له: لست مستعداً لألعابك السخيفة.

وانقلبت بجسدي إلى الجهة الأخرى من السرير.

قفز بخفة إلى الجهة الأخرى، ووقف أمامي، قال وهو يبتسم: من أنت؟

قلت: يااااه!.. ما أصعب هذا السؤال، وما أسهله

(تذكرتُ إجابة حبيبتي «تاء»).. وأكملت:

.. أستطيع أن اقول لك من (أنا).. هل يكفي اسمي الرباعي..؟

قال: لا.. من أنت؟

قلت: إنسان.

قال: أعرف.. ولكن من أي الناس أنت؟

قلت ساخراً: آسيوي.. عربي.. خليجي.. سعودي...

قاطعني: هذا (أنت) بالضبط.. كاملا؟

قلت: لا.. ولكن...

قال: إذا.. من أنت ومن غير لكن رجاءً؟

قلت: إنسان.. آسيوي.. عربي.. خليجي.. سعودي.. مسلم.. قبيلي.. سني.. شمري.. شمالي.. رفحاوي.. وهابي... وأشياء أخرى!

قال: من أنت.. من بين هؤلاء.. وماهي الأشياء الأخرى؟

قلت: أنا كل هؤلاء!

قال: متأكد؟! حتى الأشياء الأخرى؟!

قلت: أظن..

قال: ألست (أنت) أيضا الكتب التي قرأتها، والأغاني والخطب التي سمعتها، والأفلام والأماكن التي شاهدتها، والعطور التي شممتها، والأكف التي صافحتها، والأفكار التي آمنت بها، والكلمات التي قلتها.. والكلمات التي ستقولها لاحقاً؟

قلت: نعم.. أنا كل هذا.. وذاك.

قال: وسط كل هذا الخليط.. من أنت؟

قلت: حسناً.. أنا أنا!

قال: هذه ليست إجابة!

قلت: ما الذي تريد أن تعرفه بالضبط؟!

قال: من أنت؟

قلت: عندما أعرف.. سأخبرك!.. ولكن قل لي.. أنت.. من أنت؟

قال: ألم أقل لك سابقاً؟.. أنا.. أنت.

لم أكمل الحوار معه.. استسلمت للنوم بهدوء.. وفي تلك الليلة حلمت بـ «بول مارشال جونسون» و «مصطفى النجيدات» و «سليمان العنزي» وكانوا جميعهم يلبسون ملابس بيضاء وجميلة، ينظرون إليّ ويبتسمون دون أن يقولوا أي كلمة. ولأول مرة يزورني «جونسون» بصحبة آخرين، ولأول مرة أراه ولا أصاب بالفزع.

الورقة رقم «٣٤»

البارحة تلقيت اتصالاً من النقيب «حسين الموسى». . قال فيه:

ـ الآن تحدث بعض المناوشات في «جدة» بين الأمن و«الجماعة». .

ـ نعم. . أسمع صوت الرصاص. . لم ينقطع في الساعات الماضية

ـ المداهمات الآن تدور في حي قريب من الحي الذي تسكن فيه. .

ـ هل هناك خطر؟. .

ـ لا. . ولكن كن حذراً، وهناك بعض التغييرات. . كن على أهبة الإستعداد.

ـ أنا جاهز.

ـ كن حذراً يا محمد. . ولا تخرج. .

قلت بتذمر: أنا لم أغادر هذه الشقة الكئيبة منذ عشرة أيام، سوى مرتين، ذهبت فيهما إلى السوبرماركت أسفل البناية.

ـ لا تقلق. . ستكون الأمور بخير

ـ لست قلقاً.

ـ غداً سأتحدث معك. . هناك أمور مهمة تحدث

ـ سأكون بانتظارك.

الورقة رقم «٣٥»

مسكينة «رفحاء». . !

في خلال الستينيات كانت بدوية.

وفي خلال السبيعنيات صارت بلا هوية واضحة.

وفي خلال الثمانينيات كادت أن تتشكّل كمدينة صغيرة لا يعرفها أحد.

وفي نهاية التسعينيات:

صارت البيوت التي تنتظر سنوات لكي يصلها خط الهاتف الثابت تضج بعدة هواتف نقالة يحملها نصف سكان المنزل. أما التلفزيون الذي لا ينقل سوى ما تبثه القناة الرسمية من برامج مملة، صار ينقل لها بث عشرات القنوات ومن كافة أنحاء العالم، وذلك مع بدء البث الفضائي. ولكي يكتمل المشهد وتكتمل ثورة الاتصالات والمواصلات التي اجتاحتها. . أتى «الإنترنت» بكل ما فيه.

مسكينة «رفحاء». .

لم يمنحها الزمن وقتاً إضافياً لكي تستوعب ما يحدث.

منحها الكثير من الوجوه الملوّنة، ولكنه سرق وجهها الحقيقي الأبيض الناصع.

هل هذا تطوّر؟ . .

أم أنه يشبه ما يفعله بعض العلماء عندما «يلعبون» بجينات بعض النباتات، فتأتي البرتقالة بحجم البطيخة؟ . . ولكنها بلا طعم!

الورقة رقم «٣٦»
الأخيرة

سأعيد ما قلته لنفسي في الورقة الأولى:

ما الذي أحاول أن أقوله عبر هذه الأوراق؟

سأقول - وأنا أقترب من نهايتها - وبكل صراحة: لا أدري!

أظن أنني...(*)

(*) هذه الورقة كُتبت بهذا الشكل، ولسبب ما لم يُكملها. (السيدة «تاء»)

السيدة «تـــاء» تتحدث للمرة الأخيرة

ذات يوم، وتحديداً في الرابعة والنصف عصراً، كنت في صالة المنزل وكان يعج بالضيوف: بعضهم أتى زيارة لـ«جدة»، والبعض الآخر أتى من «الرياض» لأداء العمرة في «مكة»، وقبلهم كانت أختي الكبرى ومعها إثنين من أولادها.. ورفضت وبإصرار أن تسكن في فندق أو شقة مفروشة، فالقصر كبير وفيه الكثير من الأجنحة. في ذلك اليوم كان الجميع وبدعوة من زوجي يتناولون وجبة الغداء عندنا.. عندما أتاني أتصاله.

اهتز هاتفي النقّال - المخصص فقط لاتصالات فارس - وكنت أضعه على الصامت. انسحبت من الصالة، وذهبت إلى المطبخ لأرد على مكالمته:

قلت بصوت منخفض: هلا حبيبي.

رد بسرعة ودون أن يرد التحية: أريد أن أراكِ وبأسرع وقت ممكن في المقهى الإيطالي.

ودون أن أنتبه للارتباك والفزع في صوته، أجبته: لا أستطيع.. أقاربي هنا.. ولدينا غداء...

قاطعني: أرجوك.. أرجوك أن تذهبي إلى هناك..

قاطعته بقلق: ما الذي يحدث؟!

قال: لا شيء.. لا شيء.. فقط أريد أن ألتقي بك لخمس دقائق.. بل أقل. ابحثي عن أي عذر.. قولي لهم أنك تلقيتِ اتصالاً من إحدى صديقاتك وهي بحاجة ماسة لحضورك.. أو في طريق عودتك اشتري بعض الهدايا من السوق لضيوفك وكأن الهدايا هي سبب خروجك.

قلت له: حسناً.. سأجد حلاً.. وستجدني هناك!

قبل أن أدخل إلى المقهى، قلت لسائقي: لا تذهب.. سأعود بعد دقائق.

دخلت المقهى، وبعد دقيقتين دخل هو، وكان يحمل هاتفه ويضعه على أذنه، وبيده الأخرى كان يحمل صحيفة «الحياة». اختار أحد المقاعد البعيدة.. ظننت أنه لم يرني.. وفي اللحظة التي هممت بها للنهوض من مقعدي، للذهاب إليه، رن هاتفي النقال.. نظرت إلى الشاشة وكان المتصل هو!

سألته باستغراب: لماذا كل هذا؟!

قال: اسمعيني جيداً.. الصحيفة التي ترينها الآن بيدي في داخلها ملف مليء بالأوراق.. سأخرج الآن، وأترك الصحيفة وبداخلها الملف، وبعد دقائق من خروجي خذي الصحيفة والملف معك...

لأول مرة أشعر بالخوف.. قاطعته: ما الذي يحدث يا «فارس»؟

قال: أعتذر عن أي ازعاج سببته لك، وسأتحدث معك لاحقاً.. فقط حافظي على هذا الملف كما تحافظين على أشيائك الثمينة.

قبل أن أرد. . أغلق الهاتف، وخرج مسرعاً. . أردت أن أناديه، وفكّرت أن اتبعه. . ولكن. . لم أستطع. بقيت جالسة في مكاني.

لأول مرة في حياتي أشعر بالخوف، وازداد خوفي للطريقة التي سلمني فيها هذا الملف الذي لا أعلم ما محتواه، وخروجه السريع من المكان، ورؤيتي له - من خلف الزجاج - وهو يتلفت يميناً ويساراً، وشيئاً آخر فعله قبل أن يغيب عن مدى النظر: أخرج شريحة هاتفه النقال، وكسرها إلى نصفين، ورماها في حاوية القمامة!

قمت من مكاني وأنا أشعر ببرود في أطرافي لم أشعر به في حياتي، وألف ألف سؤال يعصف برأسي. اتجهت للمكان الذي كان يجلس فيه، وبأصابع مرتعشة مددت يدي وأخذت الصحيفة وما تحتويه. في السيارة أخرجت الملف من الصحيفة، وكان مكتوباً على ظهره (أوراق محمد الوطبان) وفي داخله عشرات الأوراق المكتوبة بخط اليد، وبعض قصاصات الصحف.

آآه لوكنت أعلم أن هذا اللقاء هو اللقاء الأخير مع فارس سعيد، أو محمد الوطبان، أو أبو معاذ. . أو أياً كان الاسم الذي يحمله.

لو كنت أعرف أنها المرة الأخيرة التي أرى فيها وجهه الحبيب لاحتضنته أمام الملأ وقبّلته كثيراً وبكيت على صدره إلى الأبد.

هو الرجل الوحيد الذي أحببته في حياتي. قبله كانت حياتي عبثاً وفوضى، وبعده صارت الأشياء بلا طعم.

بعده تغيّرت كثيراً. . وكبرت كثيراً. .

مرّت سنتان على هذا اللقاء الأخير، وآخر ما قاله لي «سأتحدث

معك لاحقاً»!!.. ولم يتحدث، ولم تأتِ «لاحقاً» هذه حتى اللحظة.. بل لم يعد لرقمه وجود.. هكذا، وبكل بساطة، تنتهي أحلى حكايات العمر.

ما أزال أبحث عنه في وجوه العابرين، وفي كل الأماكن التي أرتادها. يخيّل لي أحياناً أنني أراه أو أنه يراني.. ولكنه يظل خيالاً. حتى الهاتف المخصص لاستقبال اتصالاته ما زلت أحتفظ به وأحافظ عليه وأشحنه بالرصيد على أمل أن أتلقى منه اتصالاً ذات صدفة، وكل مساء أعود إليه لعل فيه رسالة منه!

كل مساء أفكر: ما الذي حدث له؟

هل تمت تصفيته لسبب ما؟

هل وصلت إليه «الجماعة» وثأرت من «العميل الداخلي» الذي كشف الكثير من أوراقها، وساهم في إحباط بعض عملياتها؟

أم أنه الآن يعيش في مكان ما، بشخصية رابعة ووجه جديد؟!

«النهـــايـة»

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير لكل من وقف بجانب هذا الكتاب حتى رأى النور.

وهم:

السادة المسئولون بـ «طوى للثقافة والنشر والإعلام».

والأستاذ / محمد الرطيان.

لما قدموه من جهد ليخرج الكتاب بهذا الشكل.

السيدة «تاء»

جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

المجموعة الخليجية للإستثمار الدولي
الرياض ـ س ت: ٧٢٤٧٣٠
مكتب المدير العام

بيان(*)

السادة الكرام / طوى . . . . . المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد:

نما إلى علمنا عن طريق بعض الصحف، بالإضافة إلى بعض المواقع الإلكترونية في شبكة الإنترنت، أن لديكم نيّة لطباعة كتاب بعنوان (أوراق محمد الوطبان) وهو من تأليف امرأة تختفي وراء اسم مستعار، وهو «السيدة تاء»، ومن المحتمل أن يكون من يختفي وراء هذا الإسم رجل. . أو حتى إعلامي معروف ليست لديه الشجاعة ليكشف عن شخصيته الحقيقية!

وحسب ما تسرب من مادة الكتاب، وما قرأته من بعض الفصول التي تم نشرها عبر بعض المواقع الألكترونية، فالكتاب يتحدث عن بعض تفاصيل حياتي الشخصية. . أو يتشابه مع بعض تفاصيلها حد التطابق أحياناً، لهذا أريد أن أوضح لكم التالي:

(*) بيان السيّد / محمد بن سلطان آل وطبان الذي نشرته بعض الصحف السعودية في ٢٠٠٨/١١/١٧م وأتتنا نسخة منه، وقد كُتب على شكل رسالة موجهة إلى المسئولين في الدار ـ الناشر.

أولاً: الكتاب يذكر بعض التفاصيل عن عملي في القطاع الأمني، وذلك قبل أن أحصل على التقاعد لأسباب صحية، ويذكر بعض أسماء أقاربي، وبعض الأماكن التي عشت بها.. وينسج حول هذه الأشياء الكثير من الأحداث الخيالية والتي يدّعي الكتاب أنها حصلت معي.

ثانياً: لا يحق لأي أحد أن يكتب سيرتي الذاتية دون أن يأخذ موافقتي المباشرة، فكيف سيكون الوضع والسيرة فيها الكثير من التشويه المتعمد؟!

ثالثاً: أنا لا أعرف السيدة (أو السيّد) تاء، لذا سيكون خصمي قضائياً هو دار النشر في حال نشر الكتاب.

رابعاً: أرجو أن لا تصل الأمور بيني وبينكم إلى المحاكم، وأجزم أن بينكم الحكماء الذين يعلمون أنه من حقي إيقاف نشر هذا الكتاب، ولا بد أن هناك حلاً يرضيني ويرضيكم.. وأنا مستعد لإبرام أي اتفاق معكم تكون نتيجته إيقاف هذا الكتاب بكل ما فيه من افتراءات وحكايات خيالية نسجها عقل مريض وحاقد.

السادة الكرام طوى..

نعم عملت في القطاع الأمني السعودي بضع سنوات خدمت فيها بلادي وولاة الأمر، والآن أنا رجل أعمال أعمل مديراً عاماً للمجوعة الخليجية للإستثمار الدولي التي أتشارك فيها مع الأمير متعب بن خالد، ولي اسمي المعروف على المستوى الإجتماعي وفي

قطاع الأعمال أيضاً، ولي حياتي الخاصة.. ولا يرضيكم أن تأتي مراهقة - أو مراهق - يختفي وراء اسم مستعار ليقدم كتاباً يشوه من خلاله اسمي وسمعتي.. لذا أرجو منكم إعادة النظر بخصوص طباعة ونشر هذا الكتاب.

هذا، وتقبلوا تحياتي وتقديري لكم
ودعواتي لكم بالنجاح في نشر المعرفة والفكر في عالمنا العربي.

ودمتم بخير..

أخوكم /
محمد بن سلطان آل وطبان
نائب رئيس مجلس الإدارة - المدير العام
للمجموعة الخليجية للإستثمار الدولي

«البـــدايـــة»

هذا الكتاب

أحياناً أشعر أنني أحد هؤلاء الحمقى.. حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها هذا السطر.. أشعر أنني أحمق وغبي!..
بل إنني أتسائل أحياناً:
«هل ما أكتبه الآن هو تكملة للمشهد.. أم أنه خروج عن النص»؟!..
فـ«الجهاز» نقلني من مشهد إلى مشهد نقيض.
أشعر انني لست سوى بيدق على رقعة شطرنج، وأصابع «الجهاز» تنقلني من مربع إلى مربع إلى مربع.. ولا أدري إلى أين ستكون النقلة القادمة!

ومن المناطق التي يلعب فيها «الجهاز» الشبكة العنكبوتية: الإنترنت. وهي من ملاعبه المفضلة، ففيها يزرع الإشاعة التي يريد، ويوجه الرأي العام تجاه حدث ما دون أن يشعر هذا «الرأي العام»..
وهناك يتم اصطياد الخصوم بسهولة.

من هم خارج «الجهاز» يظنون أحياناً أن البلد فوضى. والذين داخله، ويعرفون أسراره، يرون أنها «فوضى منظمة» تديرها أيدي ماهرة، تعرف متى ترخي الحبل، وتعرف متى تشده، وتعرف الوقت الذي تحوّل فيه هذا الحبل إلى «حبل مشنقة»!

منشورات 2009
طوى